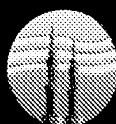
سلسة العقائد
وأسرارها الروحية

تقريب الدين بين أيدي المسلمين

السمعيات

الروح - عذاب القبر ونعيمه
علامات الساعة الصغرى والكبرى - البعث وأدلته
أهوال القيامة والحساب - الجنة والنار

تأليف
وائل محمد عبده



دار البصائر

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، وأصلي وأسلم على خير خلقه محمد ﷺ وبعد..،

لقد خلق الله تعالى الإنسان متعطشًا إلى المعرفة خاصة معرفة المجهول، وأمور السمعيات التي جاء بها خير الرسل سيدنا محمد من أشد الأمور خصوصية في جميع الأديان ولا نجد حديثًا عن أمور الآخرة في دين كما نرى في الإسلام فقد جاء النبي ﷺ بكل ما يحتاج الإنسان إلى معرفته منها فجاءت جلية واضحة أزالت الغموض الذي يحيط بها وأشبعت رغبة الإنسان في معرفتها وليس ذلك غريبًا من دين أخبر نبيه بكل خير وبكل ما ينفع الناس حتى إنه علمنا آداب قضاء الحاجة بل وآدابًا أخرى أخص من ذلك.

ولطالما أهمَّ الناس أمر الآخرة وما بعد هذه الحياة، ما الذي وراءها؟ وكيف يستعدون له؟ فجاء الإسلام مجيبًا عن كل ذلك موضحًا لذلك بالحجج المقنعة والبراهين الواضحة رادًّا على مقالات الكفار وشكوك الشاكين، وفي كل ذلك نرى الإسلام موافقًا للفطرة والعقل والمبادئ والقيم فبدون الآخرة لا يستقيم أمر المعاش ولا يكون للحياة معنى ولا فائدة فإذا لم يكن هناك آخرة أو بعث أو حساب ما فائدة الحياة؟ ما الذي يجنيه الإنسان منها إذا لم يكن بعدها حياة أخرى يُجازى فيها عن أفعاله إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر؛ ذلك اليوم الذي يكون فيه الحساب والذي لا ينفع الإنسان فيه مال ولا ولد ولا جاه ولا سلطة لابد أن يُعاقب الظالم على ظلمه وأن يُجازى الصابرون والمتقون وفاعلو الخير؛ إن

الدنيا بدون آخرة عبث، والإله العظيم وهو الله تعالى منزه عن العبث، ومع حديث القرآن عن ذلك الحساب وأهواله وما بعده حذّر الله تعالى منه وأمرنا بالاستعداد له فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢ ﴾[1] وقال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ٦ ﴾[2] ويكثر حديث القرآن عن التقوى التي هي جماع كل خير وهو زاد المؤمن إلى رحلته في الآخرة، ومن فضل الله علينا أن أرسل إلينا رسولًا منذرًا للناس بأهوال الآخرة آمرًا لهم بالاستعداد لها ليفوز المؤمن بالسعادة في الدنيا والراحة والسرور في الآخرة في جنات النعيم الأبدية وحتى يأمن شر النار وعذابها؛ قال تعالى مخبرًا عن النبي ﷺ ممتنًا بذلك على المؤمنين: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٞ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولٗا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤ ﴾[4] وهذه نعمة تستوجب شكر الله واتباع رسوله.

---

(١) سورة الحج آية: ١-٢.

(٢) سورة التحريم آية: ٦

(٣) سورة التوبة آية: ١٢٨.

(٤) سورة آل عمران آية: ١٦٤.

فما أحرانا أن نتبع هدي النبي ﷺ وأن نكون حريصين على اقتفاء أثره لأنه حريص على هدايتنا وعلى تعليمنا الخير وحتى ننال شفاعته لنا عند الله.

عزيزي القارئ:

هل تعلم شيئًا عن عالم الملائكة؟ ما وظائفهم؟ ما عددهم؟ ما أسماء رؤسائهم؟

ما الذي تعرفه عن الجن والشياطين مم خلقوا؟ وكيف يضلون الناس؟

وهل تعلم شيئًا عن طبيعة الروح التي تسرى في جسدك؟ وهل هي أكثر من روح؟

في هذه الصفحات الإجابة عن هذه الأسئلة.

أيها القارئ الكريم:

لابد أنك تريد أن تعرف ما سكرات الموت وما ضمة القبر وما أسباب عذابه وما الأدلة على ذلك؟ وتريد أن تعرف العلامات التي تسبق مجيء القيامة وكيف يُدمر الكون بكل ما فيه؟

وأن تعرف كيفية البعث والنشور والحساب وقراءة صحف الأعمال والميزان والصراط ونعيم الجنة وأهوال النار.

في هذا الكتاب الإجابة عن كل ذلك بأسلوب ميسر خالٍ من التعقيد مقرونٍ بالأدلة العقلية التي تخاطب العقل والروح.

أسأل الله أن ينفع به

كتبه العبد الفقير الراجي عفو اللطيف الخبير

وائل محمد عبده

الإيمان بالغيب

ما معنى الإيمان بالغيب:

وصف الله تعالى في كتابه صفات المؤمنين المتقين فذكر أول صفة لهم في مطلع سورة البقرة فقال: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝﴾[1] فنجد أن أول صفات المتقين هو الإيمان بالغيب.

ومعنى الإيمان لغة هو التصديق، وشرعًا هو تصديق الرسول ﷺ فيما جاء به عن ربه ﷻ المتضمن القبول والمحبة والعمل.

والمراد بالغيب ما لا يدرك بالحواس مما أخبر الرسول ﷺ صريحًا بأنه واقع أو سيقع مثل وجود الله وصفاته ووجود الملائكة والشياطين وعلامات يوم القيامة وأمور الآخرة.

فقد ذكر أبو جعفر الرازي عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾[2] قال: يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه ويؤمنون بالحياة بعد الموت وبالبعث فهذا غيب كله. وقال الإمام ابن جرير: والأَوْلى أن يكونوا موصوفين بالإيمان بالغيب قولًا واعتقادًا وعملًا. وخُص

---

(١) سورة البقرة آية: ١-٢.

(٢) سورة البقرة آية: ٣.

بالذكر الإيمان بالغيب دون غيره من متعلقات الإيمان لأن الإيـمان بالغيـب أي مـا غاب عن الحس هو الأصل في اعتقاد إمكان ما جاءت به الرسل من الإخبـار عـن وجود الله والملائكة والوحي وغير ذلك؛ فإذا آمن بـه الإنـسان تهيـأ لـسماع دعـوة الرسول وللنظر فيما يبلّغه من الله تعالى فسهل عليه إدراك الأدلـة والتـصديق بهـا، وأما من يعتقد أنه ليس وراء هذا العالم عالم آخر فقد أعرض عن الدعوة إلى الإيمان بوجود الله وعالم الآخرة كما هو حال الماديين الطبيعيين وكما هو حال المشركين.

أثر الإيمان بالغيب في نفس المؤمن:

إن الإنسان مركب من جزء علوي سماوي هو الروح وجزء مادي أرضي هو الطين الذي خُلق منه الجسد، ولابد له بسبب هذا الجزء أن يتوغل في اللذائذ الجسمية ولا شيء عليه في ذلك بل بذلك تحصل سعادته وتتم راحته غير أن المؤمن لا يتهالك في تلك المطالب الجسدية بل يراعي ما حدده الله فيها وبذلك التوازن يصفو عيشه وتتم راحته.

وكذلك للروح مطالب كما للجسد مطالب فإذا أهمل الإنسان مطالب الروح عاش عيش البهائم وكان في صورة إنسان من حيث الظاهر وتموت فيه العواطف والفضائل والقيم.

والإيمان بالغيب هو غذاء الأرواح وهو الوقود الذي يُسيِّر آلة الجسد فالإيمان بالغيب يشمل الإيمان بوجود الله والإيمان بالقضاء والقدر والإيمان بوجود

الملائكة والشياطين والبعث بعد الموت والحساب والإيمان بالثواب والعقاب فإذا آمن الإنسان بوجود الله صدَّق الرسل في كل ما أخبروا به عن الله من أنه يرى خلقه ويراقبهم ويحاسبهم وأنه كتب عليهم آجالهم وأرزاقهم وسعادتهم وشقاءهم فيكون المؤمن في حياته مراقبًا لله مستشعرًا أنه يراه فيستحيي أن يراه على حال لا يرضيه.

وأكثر الناس يظنون أن الشرع يقيد حريات العباد ويكدر عليهم صفو حياتهم ويمنع عنهم السعادة، وللعبد شاهد من نفسه فكلنا فعل الطاعة وفعل المعصية فمن أطاع الله وجد سعادة في القلوب وفرحًا بالله وأُنسًا به ومن عصى الله وجد الضيق والشقاء والهم والغم ووجد وحشة في قلبه قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾[1].

وقال بعض الصالحين: نحن في لذةٍ لو شعر بها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف. ففي الإيمان بوجود الله والشعور بمراقبته للعبد وأن الله معه يؤيده ما دام مطيعًا له واستحضار العبد ذلك في قلبه فيه سعادة النفس واطمئنانها إذا آمن الإنسان بوجود الملائكة وأنها تُحصي عليه أفعاله وتكتب ما يلفظه بلسانه كما قال تعالى:

---

(١) سورة الانفطار آية: ١٠-١٢.

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[1]. فلكل إنسان ملكان يكتبان ما يتلفظ به من كلمات وقال أيضًا: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[2] فقد وكل الله إلى الملائكة مراقبة أعمال العباد وكتابتها إذا آمن الإنسان بذلك راقب ألفاظه وأفعاله.

إذا آمن الإنسان بقضاء الله وقدره وأن كل ما يصيبه وما يحدث له قد كتبه الله وقدَّره له رضيت نفسه واطمأنت وتحمل صدمات الحياة، وعلم أن الله سيجزيه عن تحمله وصبره ورضاه بأحسن الجزاء في الدنيا والآخرة فواصل طريقه في الحياة وأدى دوره فيها حتى يصل بمجتمعه إلى الرقي والتقدم.

قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ ﴾[3].

تعلم النفس المؤمنة أن الله هو الذي قدر لها الخير أو الشر بحكمته فلا تفرح وتطغى بنعمة ولا تحزن من مصيبة؛ إن المؤمن ينظر إلى المصيبة فيعلم أنها قدر الله فتطمئن نفسه ويرضى وينظر إلى ما يعقب هذه المصيبة من الثواب فيصبر ويسعد

---

(١) سورة طه آية: ١٢٤-١٢٦.

(٢) سورة الانفطار آية: ١٠-١٢.

(٣) سورة الحديد آية: ٢٢-٢٣.

قال النبي ﷺ «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**»[1].

إن الإيمان بالقضاء والقدر يعصم صاحبه من الانتحار والخروج من هذه الحياة بسبب ما يلقاه من مصائب وآلام، وفي ذلك تسيير لعجلة الحياة كما أنه يجنبه الاكتئاب والقلق ويقيه من أمراض كثيرة تصيب البدن بسبب الهم والحزن.

وإذا آمن الإنسان بالبعث بعد الموت وأن هناك حسابًا وثوابًا وعقابًا وعمل لذلك واستعد له ترك الكذب والغش والتزوير والقتل والسرقة وانتهاك الأعراض والاعتداء على الآخرين وأكل الحقوق والأموال؛ ففي ذلك الإيمان بالجزاء على الأعمال رادع وزاجر يزُده عن ارتكاب كل ذلك فيتحلى بالفضائل والأخلاق.

وفي عصرنا الحاضر الذي يطلق عليه عصر القلق غلبت المادة على الروح وطغت الشهوات على الروحانيات فإذا لم يعتصم الإنسان بإيمانه بالغيب ضاع في وسط ضغوط هذه الحياة واكتوى بنارها فأصبحت حياته جحيمًا لا يطاق يصيبه الملل والحزن فيتكاسل عن أداء مهامه والقيام بدوره في الحياة مما يؤدي إلى تأخره وتأخر أمته ومجتمعه.

---

(١) رواه مسلم وأحمد من حديث صهيب.

أثر الإيمان بالغيب في الحضارة الإسلامية:

قلنا إن الإيمان بالغيب وما يتعلق به من وجود الله والملائكة والقضاء والقدر والحساب والثواب والعقاب هو أساس الشعور بالسعادة والرضا بالنسبة للفرد وما الفرد إلا عضو في مجتمع كبير يؤثر فيه إيجابًا وسلبًا؛ فإذا أثَّر ذلك الإيمان في كل فرد مسلم لظهر أثر ذلك في المجتمع كله، وهذا سر ازدهار الحضارة الإسلامية؛ فبإيمان المسلمين الأوائل بوجود الله استجابوا لأوامره وتمسكوا بأهداف هذا الدين فَبِحَثِّ الدين على العلم ملئوا الدنيا علمًا فنبغوا في الفيزياء والكيمياء والطب والفلك والرياضيات وغيرها، وبإيمانهم بالقضاء والقدر - تلك العقيدة التي تنزع كل مظاهر الجبن من القلب الذي تعمره- اندفعوا إلى جهاد الكفار والطغاة دون أن يعدوا لوسائلهم وأدواتهم وعددهم أي حساب ولماذا يجبنون وهم يعلمون أن المقدور نازل بهم لا محالة وغير المقدور لن يحل بهم أبدًا، ويعلمون يقينًا أن الله معهم يؤيدهم وينصرهم ففتحوا البلاد الكثيرة حتى بلغت الدولة الإسلامية معظم أنحاء العالم فدخلت بلاد فارس والروم والأندلس، وبتمسكهم بالفضائل والقيم دخلت أعداد كثيرة من الكفار في دين الله أفواجًا وقد رأوا عدل المسلمين وأمانتهم ورحمتهم مع غير المسلمين، وبذلك قامت الحضارة العظيمة.

ولننظر في حال المؤمن المتدين في هذا العصر وإلى ما يعود على الناس منه فلنتصور رجلًا مؤمنًا بقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن

﴿ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾[2].

ننظر كيف تكون مراقبته لله وخوفه منه، هل يمكنه أن يكون مع هذا الاعتقاد منتهكًا للحرمات مغتصبًا للأموال أو يكون سارقًا أو قاتلًا أو خدَّاعًا أو غشَّاشًا أو مزوِّرًا... إلخ.

ثم نظر فيما أمره الله- الذي آمن به بالغيب- فأحب المؤمنين جميعًا، وعلم أن الخصام يحرم فوق ثلاثة أيام، وأن الله نهى عن الإيذاء بكل أنواعه حتى أنه جعل غيبة الإنسان لأخيه من كبائر الذنوب، وشبَّهها بما تنفر منه النفس؛ قال تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾[3] ونظر إلى أمر الله بأن نكون متحابين متعاونين؛ فقد أمرنا الرسول ﷺ بذلك- فيما يبلغه عن الله فقال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا» ويقول: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا». ثم نظر في أمر الله لنا بالتحذير من الظلم وأن يعدل المسلم حتى مع الكافر وألا يجامل أقاربه على حساب العدل والحق؛ إلى غير ذلك من القيم والأخلاق التي يصعب حصرها وعدها.

---

(١) سورة الزلزلة آية: ٧-٨.

(٢) سورة ق آية: ١٦.

(٣) سورة الحجرات آية: ١٢.

فالبناء الحضاري في المجتمع الإنساني أهم ما يقوم عليه هو طبيعة العلاقة بين أفراد المجتمع، وإن مجتمعًا من المجتمعات الإنسانية هذه أوصافه ومقاصده لهو صاحب أعظم الحضارات.

أثر عدم الإيمان بالغيب في نفس الملحد.

قلنا: إن أهم أركان الإيمان بالغيب الإيمان بوجود الله لأنه مترتب عليه متعلقات الإيمان الأخرى.

والملحد الذي لا يؤمن بوجود الله هو أجهل الخلق وأحمقهم؛ إن إنكار الله ليس شيئًا يسيرًا؛ فالكون العجيب الذي يسير بهذه الدقة المتناهية في الحكمة والاتساق والنظام لا يمكن أن يكون وراءه الصدفة؛ لابد من قوة حكيمة مدبرة؛ هذه القوة هي «الله رب العالمين».

وإذا كنا لا نرى الله بعيوننا فمن رحمة الله أنه خلق للإنسان عقلًا وأرسل له رسلًا وأنزل عليهم الكتب وأمر في هذه الكتب بالتفكر في السموات والأرض وفي نفس الإنسان ليعلم مما يراه بعينيه من ارتفاع السموات وعظمها وسطح الأرض وخلق النبات والحيوان والبحار والشمس والقمر أن هناك خالقًا أعظم من كل مخلوقاته؛ إن الملحد يطفئ نور بصيرته ويُلغي عقله إذ إنه طمس فطرته بتكبره وكفره.

وإذا لم يؤمن الملحد بالله فإنه لا يؤمن بعالم الغيب الذي يترتب على إيمانه بالله الذي أخبرنا عن عالم الغيب بما فيه فلا يؤمن بملائكة ولا جن ولا قضاء ولا

قدرًا ولا يؤمن ببعث ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب؛ إن الإنسان الملحد تغلب عليه طينيته التي خُلق منها؛ فهو يجري وراء الأوهام فيشقى شقاء لا سعادة فيه ويتعب تعبًا لا راحة معه؛ إن عيشه أسوأ من عيش البهائم لأن البهائم ليس فيها الشعور المغروس في طبيعة الإنسان ولا الغايات التي يتطلع إليها؛ إن الإنسان الذي لا يؤمن بوجود الله ولا يؤمن بالبعث ما الذي يجعله يتمسك بالفضائل والأخلاق؟ إنه يرى الحياة لعبة وعبثًا لا فائدة منه ولا غاية؛ إن هذا الإنسان يعيش في شقاء وتعاسة إذا ما ألمت به مصيبة أو أصابه ألم لأنه لا يصبر عليه ولا يرضى لأنه لا يؤمن بحكمة منه ولا ثواب عليه؛ إنهُ يقدم على الانتحار ليتخلص من حياته كما يحدث في كثير من بلاد أوربا، فمع أن دخل الفرد فيها مرتفع ورفاهية العيش متوافرة إلا أنه يقدم على الانتحار لخواء نفسه؛ فهو لا يرى للحياة معنى ولا يؤمن بآخرة فيها الحساب والثواب والعقاب، ومثل هذا الإنسان الملحد الجاحد العاري من الأخلاق والفضائل حاله بالنسبة إلى المجتمع أنه وبال عليه لا يلقى منه المجتمع إلا الأذى والشرور فإنه لم تهذب عواطفه فهو يتخبط في الظلمات، هو وحش يفتك بكل من قدر عليه، وهو عقرب يلدغ كل من يقترب منه، وهو جدير به أن يكون كذلك فإنه لا يؤمن بجزاء على ما اقترف من الأفعال؛ فهو لا يرغب في جنة ولا يخاف من نار؛ فهو يرى العالم غابة يريد أن يكون هو سيدها؛ فهو يغتنم منها كل ما يقدر عليه فلا حياة في نظره غير هذه

الحياة؛ أمثال هؤلاء يخاطبهم الله بقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾(١). ويقول: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾(٢).

وإذا كان ذلك على مستوى الفرد فهو على مستوى الجماعة أشد وأقوى؛ ولقد علَّمنا التاريخ أن الحضارات التي أصابها الانحلال الأخلاقي والتمسك بالرذائل والفواحش فهي زائلة فانية لا محالة.

قال الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت … فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وهكذا نرى أن الإيمان بالغيب يفعل الأعاجيب في نفوس المؤمنين كما أن جحوده والكفر به سبب هلاك الأفراد والأمم.

* * *

---

(١) [سورة المؤمنون آية: ١١٥].

(٢) [سورة ص آية: ٢٧]

معنى السمعيات

السمعيات: هي الأمور التي تؤخذ بالسماع من الصادق المعصوم ﷺ ولا يستقل العقل بإدراكها.

فيقصد إذن علماء العقيدة بالسمعيات المسائل العقائدية التي يجب الإيمان بها مع أن دليلها السماع فقط من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

ذلك لأن أغلب مسائل السمعيات أمور غائبة عنا لا تقع في متناول الحس ولا يمكن إثباتها بالعقل الإنساني المجرد ولا بالإحساس والمشاهد ة من حيث إنها ليست في متناول الحواس الإنسانية وذلك مثل الملائكة والجن فقد ورد ذكرهم في القرآن والسنة وهم خلق من خلق الله لا يمكن إدراكهم بالعقل ولا بالحس ومثل أحوال يوم القيامة من البعث وخروج الناس من قبورهم للحساب والميزان ودخول الجنة دار الثواب أو النار دار العقاب وغير ذلك مما ورد ذكره في القرآن والسنة.

والعقل الإنساني عاجز عن الاستدلال عليها لأنها لا تقع في مجال إدراكه فهي لا تثبت بالبديهة ولا تقع تحت الحس والتجربة الإنسانية ومع ذلك فالعقل لا يمكنه إنكارها لأنها أمور ممكنة تدخل في إطار قدرة الله الكاملة وعلمه المحيط بكل شيء.

بل إن العقل يجب عليه أن يؤمن بها لأنه ما دام قد ثبتت نبوة محمد ﷺ وثبت صدقه في كل ما جاء به وقد أخبر الرسول بهذه الأمور في الكتاب العزيز والسنة الشريفة فيجب الإيمان بها والتصديق بوقوعها وعلاوة على ذلك فالإيمان بالحياة الأخرى

والثواب والعقاب فيها يثبته العقل الصريح لأنه من غير المعقول أن يخلق الله الخلق من غير هدف وبلا غاية ويكلفهم بأوامر وينهاهم عن منهيات فمنهم من أطاع ربه وعمل بأوامره واجتنب منهياته ومنهم من عصى ربه ففعل المنكرات ثم يموت كل الخلق فإذا لم يكن هناك حياة أخرى وبعث فإن ذلك سوف يكون عبثًا والله منزه عن العبث فما فائدة الحياة إذن؟ وليس من العدل أن يسوى الله تعالى بين المطيعين والمذنبين وإنما سيجازي كل فرد على عمله قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٧ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ ﴾[3] قال السدي: يعني: لا يبعث وقال مجاهد والشافعي يعني: لا يؤمر ولا ينهى، والظاهر أن الآية تعم الحالين أي ليس يترك في هذه الدنيا مهملًا هذا، والسمعيات مسائل كثيرة فنقول وبالله التوفيق.

* * *

(١) سورة الزلزلة آية: ٧، ٨.

(٢) سورة النحل آية: ٩٧.

(٣) سورة القيامة آية: ٣٦.

الملائكة

من هم الملائكة؟

الملائكة قد عرفهم علماء العقيدة فقالوا: الملائكة أجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكل بالأشكال الحسنة.

والإيمان بهم هو الاعتقاد الجازم بوجودهم فهم عالم غيبي لا يعلم حقيقته إلا الله سبحانه لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتصفون بذكورة ولا أنوثة فمن وصفهم بذكورة فسق ومن وصفهم بأنوثة كفر لمعارضته قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[1] خلقهم الله سبحانه من نور كما خلق الجان من مارج من نار وكما خلق الإنسان من طين عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

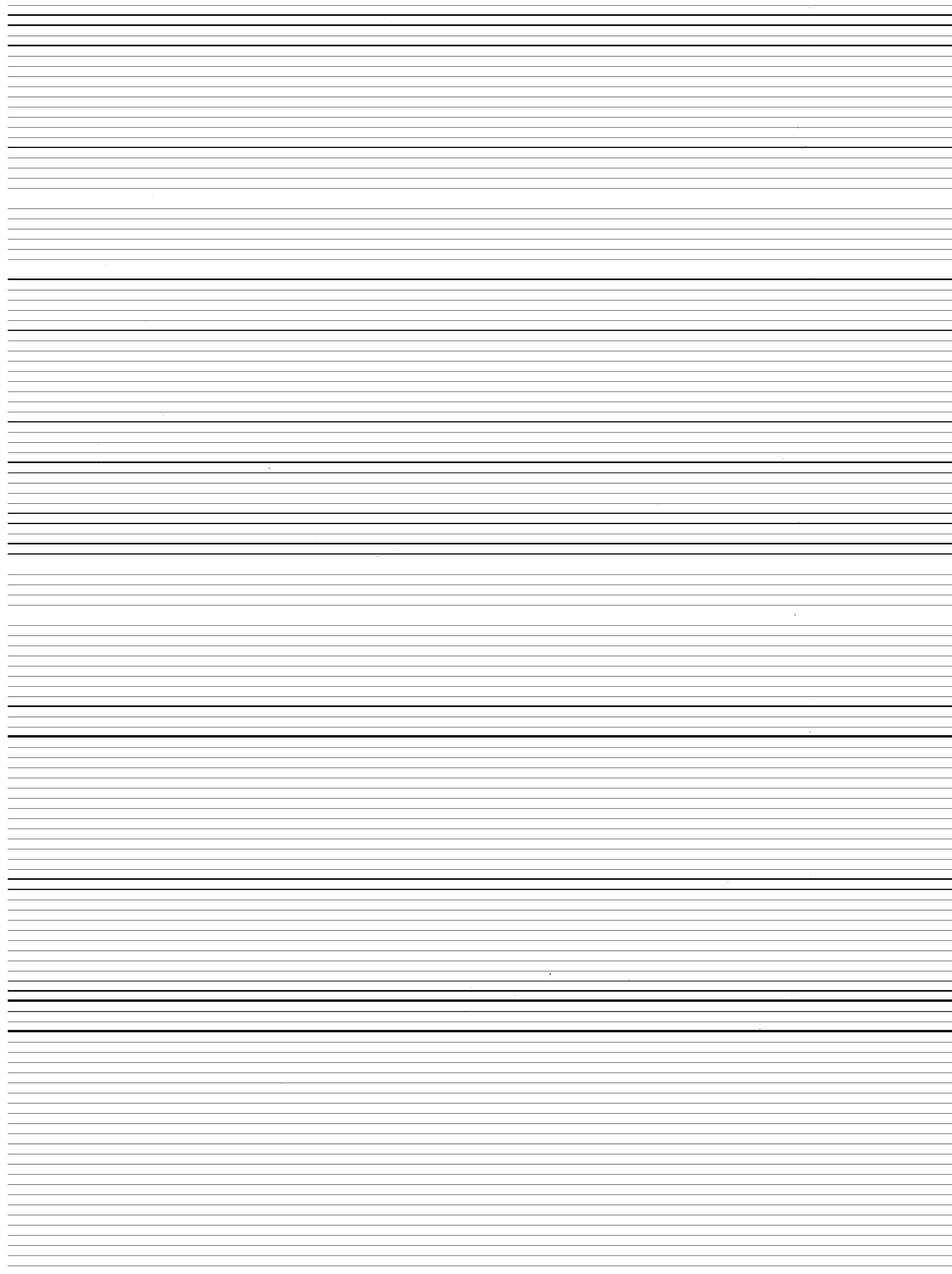
«خُلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخُلق آدم مما وصف لكم»[2] وقد جاء ذكر الملائكة في كثير من آيات القرآن الكريم والعديد من الأحاديث النبوية الصحيحة وتواترت أخبار الأنبياء بوجودهم مما يؤكد أن وجودهم ثابت بالدليل الذي لا يلحقه شك ولذا فإن من أنكر وجودهم كان كافرًا بنص القرآن الكريم يقول الله سبحانه: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة الزخرف آية: ١٩.

(٢) أخرجه مسلم وأحمد.

(٣) سورة النساء آية: ١٣٦.



قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[1] وجاءت الأحاديث النبوية مبينة لكثرتهم التي قد تفوق الخيال فقال النبي: « ما في السماء موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم فذلك قوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ۝ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝﴾[2].

هل الملائكة يموتون؟

نعم تموت الملائكة وذلك بنفخة الصعق وهي النفخة الثانية التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض إلا من شاء الله ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت وينفرد الله بالبقاء ويقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾[3] ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝﴾[4] والدليل على أنهم يموتون قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝﴾[5]، وقال: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[6].

---

(١) سورة المدثر آية: ٣١.

(٢) سورة الصافات آية: ١٦٤، ١٦٥.

(٣) سورة غافر آية: ١٦.

(٤) سورة غافر آية: ١٦.

(٥) سورة الزمر آية: ٦٨.

(٦) سورة القصص آية: ٨٨.

ما حجم الملائكة؟

للملائكة أحجام تفوق أحجام المخلوقات الأخرى التي اعتدنا رؤيتها يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦ ﴾[1].

ومن الأحاديث نذكر ما قاله النبي ﷺ في جبريل: «رأيت جبريل منهبطًا قد ملأ ما بين الخافقين عليه ثياب سندس معلق بها اللؤلؤ والياقوت» والخافقان: أفق المشرق وأفق المغرب.

وهم متفاوتون في الحجم فليسوا متساويين إذ أن منهم من له جناحان ومن له ثلاثة ومن له أربعة وهكذا حتى أن جبريل له ستمائة جناح.

صفات الملائكة وخواصها:

* ويظهر من قوله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ۝٢٠ ﴾[2] أن الملائكة لا ينامون وقد قال ذلك الفخر الرازي في تفسيره.

ويشير القرآن إلى أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون وذلك في القصة التي جاء فيها الملائكة إبراهيم عليه السلام في صورة بشر فلما قدم لهم طعامًا لم يأكلوا: ﴿ فَرَاغَ

---

(١) سورة التحريم آية: ٦.

(٢) سورة الأنبياء آية: ٢٠.

إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾﴾[1].

* ونص القرآن على أن الملائكة يعبدون الله ليلًا ونهارًا بدون أن يصيبهم تعب أو ملل قال تعالى ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾[2] والسآمة: الضجر والملل من الإعياء وقال: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[3] والفتور: الانقطاع عن الفعل.

*والملائكة لايعصون الله ويفعلون ما يؤمرون والصواب أن جميع الملائكة معصومون وينزه مقامهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبهم وينزلهم عن جليل قدرهم.

أسماء الملائكة وأنواعهم:

وقد ورد في القرآن الكريم والسنة الصحيحة بعض أسمائهم ويأتي على رءوس الملائكة أربعة من العظماء هم:

١ـ جبريل. ٢ـ ميكائيل. ٣ـ إسرافيل. ٤ـ ملك الموت.

أما جبريل وميكائيل وإسرافيل فقد جاء ذكرهم في القرآن والسنة الصحيحة:

---

(١) سورة الذاريات آية: ٢٦: ٢٨.

(٢) سورة فصلت آية: ٣٨.

(٣) سورة الأنبياء آية: ٢٠.

قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾[1].

وروى الإمام مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

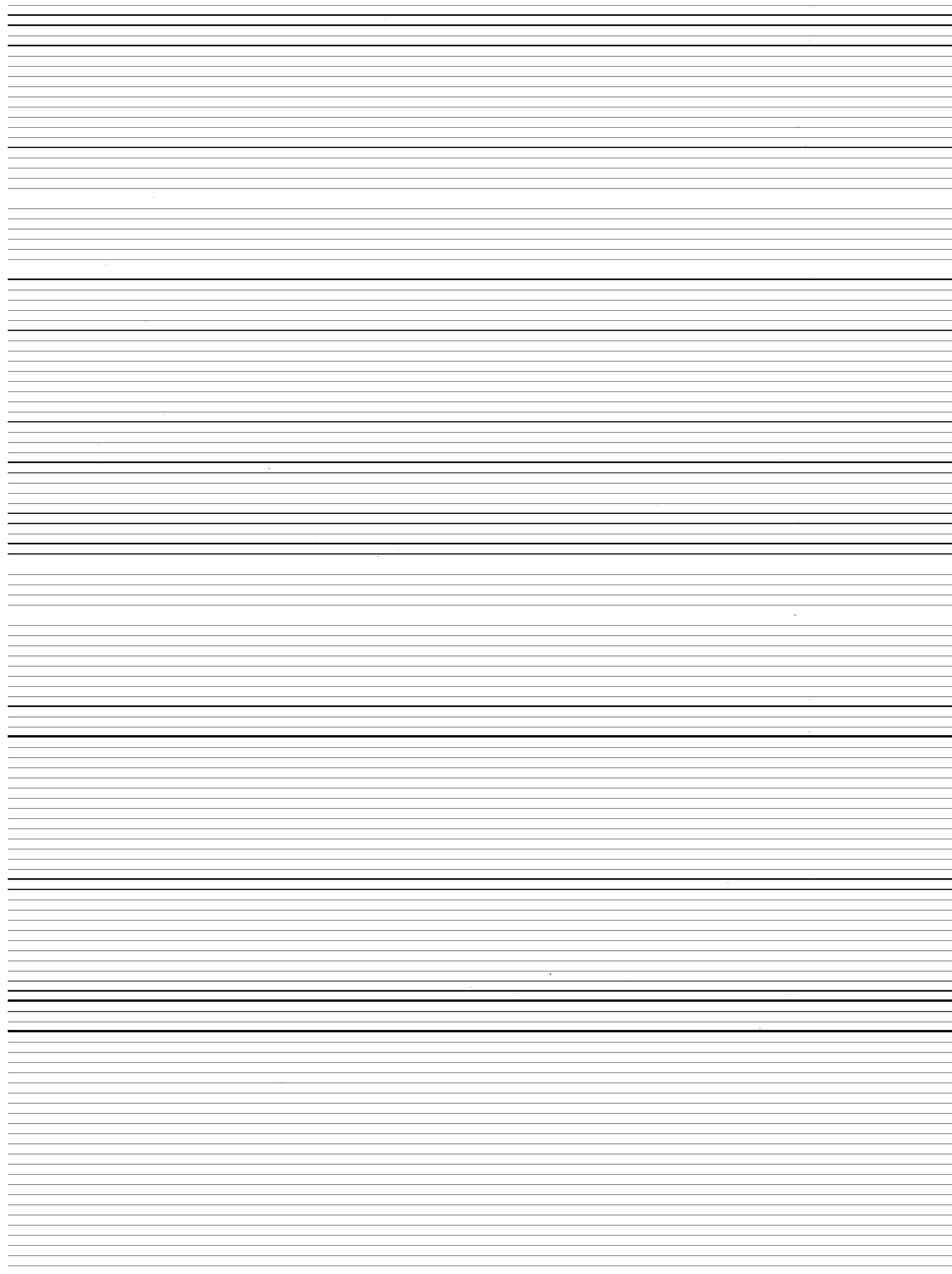
أما ملك الموت فلم يصرح باسمه في القرآن الكريم ولا في الأحاديث الصحاح وقد جاء تسميته في بعض الآثار بعزرائيل ومعناه بالعربية عبدالجبار وهو أحد الملائكة الأربعة الرؤساء.

وجبرائيل موكل بالوحي وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور فهم رسل الله في خلقه وأمره.

– وهناك ملك يقوم بشئون الجبال وقد ثبت ذكره في حديث خروج النبي إلى ابن عبد ياليل بن عبد كلال وعوده منهم وفيه قول جبريل له: «إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم» ثم ناداه ملك الجبال فسلم عليه ثم قال: يا محمد إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا» صحيح البخاري وصحيح مسلم، و(الأخشبين): هما جبلا مكة: أبو قبيس والجبل الذي يقابله.

---

(١) سورة البقرة آية: ٩٨.



وهناك ملك موكل بالسحاب الذي ينشأ عنه الرعد والبرق وورد في كل ما سبق بعض الآثار والأحاديث.

وهناك الملائكة الموكلون بالعرش فللعرش ملائكة يحملونه كما ذكر القرآن الكريم وحوله أيضًا ملائكة وهم الكروبيون وهم أشرف الملائكة مع حملة العرش، وهم الملائكة المقربون كما قال سبحانه: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[1].

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ﴾ ءَامَنُوا۟[2]. وعدد الملائكة الذين يحملون العرش يبلغ ثمانية، جاء في القرآن: ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾[3] قال ابن عباس: ثمانية صنوف من الملائكة، وقيل: هم في الدنيا أربعة ويوم القيامة ثمانية، وكلمة «الكروبيين» من مادة «الكرب» بمعنى الحزن لشدة خوفهم من الله جل جلاله، وقيل: إن الكلمة مأخوذة من لفظة «الكرب» بمعنى القرب أو القوة وذلك لقوتهم وصبرهم على العبادة.

- ومنهم الملك الموكل بالرحم لحديث البخاري ومسلم واللفظ له «إن الله ﷻ قد وكل بالرحم ملكًا فيقول: أي ربي نطفة أي ربي علقة أي ربي مضغة فإذا

(١) سورة النساء آية: ١٧٢.

(٢) سورة غافر آية: ٧.

(٣) سورة الحاقة آية: ١٧.

أراد الله أن يقضي خلقًا قال الملك: أي ربي ذكر أو أنثى شقي أو سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه».

– ومنهم الكرام الكاتبون وعملهم كتابة أعمال البشر وإحصاؤها عليهم فعلى يمين كل إنسان مكلف ملك يكتب صالح أعماله وعن يساره ملك يكتب سيئات عمله كما قال تعالى:

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝ ﴾[2] صفتان للملكين فرقيب يرقبه وعتيد حاضر عنده لا يغيب وملك الحسنات أمير على ملك السيئات.

– ومنهم الموكل بحفظ العبد في حله وارتحاله وفي نومه ويقظته وفي كل حالاته وهم المعقبات قال الله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾[3] وكما قال تعالى كذلك: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾[4].

---

(١) سورة الانفطار آية: ١٠ – ١٢.

(٢) سورة ق آية: ١٧ – ١٨.

(٣) سورة الرعد آية: ١٠ – ١١.

(٤) سورة الأنبياء آية: ٤٢.

قال ابن عباس: «والمعقبات من الله هم الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فإذا جاء قدر الله خلوا عنه».

- ومنهم ملائكة في الأرض يبلغون سلام أمة محمد وصلاتها على نبيها ﷺ لحديث أحمد: قال ﷺ: «إن لله في الأرض ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام».

ومنهم غير ذلك ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ** ﴾[1].

التفاضل بين الأنبياء والملائكة:

- ذهب جمهور أهل السنة والشيعة إلى أن الأنبياء أفضل من الملائكة مطلقًا وذهب المعتزلة والقاضي أبو بكر الباقلاني وأبو عبدالله الحليمي من أهل السنة إلى أن الملائكة العلوية أفضل من الأنبياء أما الملائكة السفلية الذين يسكنون الأرض فالأنبياء أفضل منهم بالإجماع وقد نقل البعض أن هذا الخلاف مستثنى منه نبينا ﷺ فإنه أفضل الخلق على الإطلاق بالإجماع ولا عبرة بما يجري عليه الزمخشري من تفضيل جبريل على النبي ﷺ لأنه خارق للإجماع.

* * *

---

(١) سورة المدثر آية: ٣١.

الجن

والشياطين

من هم الجن والشياطين؟

ذكر العلماء أن وجود الجن والشياطين مما انعقد عليه إجماع الآراء ونطق به كلام الله تعالى وكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. اهـ.

وحينئذ يكون إنكار وجود هذا النوع كفرًا.

ويعرفهم علماء العقيدة بأن الجن خلق من مخلوقات الله قادر على التشكل بأشكال مختلفة حسنة أو قبيحة وأنه يظهر منهم الأفعال العجيبة.

والجن يرانا ونحن لا نراه قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[1].

قبيلة: أي جنوده وذريته.

والجن يقال على وجهين:

أحدهما: بالمعنى العام المقابل للإنس فيشمل كل المستترين (المختفين) عن الحواس من: جن وملائكة وشياطين قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾[2] والمقصود الذين قالوا الملائكة بنات الله وذلك لأن جَنَّ بمعنى ستر قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَـٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾[3].

والآخر: بالمعنى الخاص فلا يشمل إلا الجن فقط؛ لأن الروحانيين المستترين عن الحواس ثلاثة: أخيار وهم الملائكة وأشرار وهم الشياطين وأوساط فيهم أخيار وأشرار وهم الجن.

---

(١) سورة الأعراف آية: ٢٧.

(٢) سورة الأنعام آية: ١٠٠.

(٣) سورة الأنعام آية: ٧٦.

والرأي المشهور أن حقيقة الجن والشياطين واحدة وهي أجسام عاقلة تغلب عليها النارية قابلة للتشكل بأشكال مختلفة والفرق بينهما من حيث إن الشيطان هو المتمرد (الكافر أو الفاسق) من الجن أما الجني فهو شامل للمتمرد وغيره فهو أعم من الشيطان قال تعالى: ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ (1) وقيل: إن خَبُثَ الجني فهو شيطان وإن زاد خبثه فهو مارد فإن زاد على ذلك وقوي فهو عفريت والجمع عفاريت.

خلق الجن وطبيعتهم:

خلق الله الجن من النار قال تعالى:﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ (2) والمارج: النار التي لا دخان لها وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾(3). فهي نار لا دخان لها تنفذ في المسام وفي الآية دليل على تقدم خلق الجان على الإنسان.

روى مسلم عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ «**خُلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم**». وخُلق إبليس من النار أيضًا لأنه من الجن كما قال تعالى: ﴿ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾(4) وقال تعالى على لسانه: ﴿ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾(5).

(1) سورة الحجر آية: ٢٧.
(2) سورة الرحمن آية: ١٥.
(3) سورة الحجر آية: ٢٦.
(4) سورة الكهف آية: ٥٠.
(5) سورة الأعراف آية: ١٢.

ولكن الجن لم يبق على طبيعتهم النارية كما لم يبق الإنس على طبيعتهم الترابية إنما صار الجن أجسامًا لها طبيعة خاصة وقدرة على التشكل بأشكال مختلفة فالجني له القدرة على الظهور في صور متنوعة من إنسان أو حيوان أو نبات صغر الشكل أو كبر وتحكمه الصورة التي يبدو فيها بمعنى أنه لو ظهر في صورة إنسان فقوته قوة رجل من الإنس وإن ظهر في صورة كلب كانت قوته قوة كلب وهكذا.

ولكن الشيطان لا يستطيع أن يظهر في صورة رسول الله ﷺ.

عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «**من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي**»[1].

وقد ظهر الجني في صورة رجل سارق يأخذ من طعام زكاة رمضان وأخذه أبو هريرة وأمسكه فشكا له الحاجة والعيال ثم تركه فحكى ذلك للنبي فأخبره أنه شيطان.

وأما قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ** ﴾[2] فالمقصود من حيث لا ترونهم على صورتهم الحقيقية أما لو تمثَّلوا في صور معينة فيمكن رؤيتهم كما أشرنا فيما ذكرناه عن أبي هريرة.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) سورة الأعراف آية: ٢٧.

الجن يأكلون ويشربون ويتزوجون ويتناسلون:

عن جابر بن عبدالله أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عند دخوله، وعند طعامه. قال الشيطان: لا مبيت، ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء**» (1).

وعن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله**»(2).

وعندما تحدث القرآن الكريم عن نعيم الجنة قال: ﴿ **حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾** ﴾(3).

وعندما حذرنا من إبليس قال: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾** ﴾(4). فهذه الآيات تدل على أنهم يتناكحون ويتناسلون.

---

(1) رواه الإمام مسلم.

(2) رواه الإمام مسلم.

(3) سورة الرحمن آية: ٧٢-٧٤.

(4) سورة الكهف آية: ٥٠.

الجن مكلفون بعبادة الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[1].

ونقل عن مالك أنه استدل على أن عليهم العقاب ولهم الثواب بقوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾[2] ثم قال: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾والخطاب للإنس والجن فإذا ثبت أن فيهم مؤمنين والمؤمن من شأنه أن يخاف مقام ربه ثبت المطلوب.

وفي تفسير قوله تعالى: حكاية عن الجن ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾[3] قال يحيى الفراء: البخس: النقص، والرهق: الظلم، ومفهوم الآية أن من يكفر فإنه يخاف فدل ذلك على ثبوت تكليفهم.

وقد أرسل الله إليهم الرسل وختمهم بسيدنا محمد ﷺ فهو رسول للإنس والجن وقد تحدى بمعجزته الكبرى وهي القرآن الإنس والجن.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[4].

وذلك بعد أن استمعوا له، وعلموا أنه كتاب أنزل بعد توراة موسى

---

(١) سورة الذاريات آية: ٥٦.

(٢) سورة الرحمن آية: ٤٦.

(٣) سورة الجن آية: ١٣.

(٤) سورة الإسراء آية: ٨٨.

مساكن الجن:

الجن يسكنون البر والبحر والجو، ومنهم من يسكن مع بني آدم في بيوتهم ويُسَمَّون (العمار) أو (العوامر) ليس من حقهم أن يظهروا للإنس في أية صورة من الصور وإلا استحقوا القتل بعد إنذارهم.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء: قال: «**اللهم إني أعوذ بك من الخُبث والخبائث**».[1]

أي ذكران الجنّ وإناثهم. فالخبث جمع خبيث، والخبائث جمع خبيثة.

والمقصود بالخلاء هو مكان قضاء الحاجة.

الجن يموتون ويبعثون ويدخلون الجنة أو النار:

مما يدل على موت الجن قوله تعالى: ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾** ﴾[2]

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون».

قال سبحانه: ﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾** ﴾[3].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) سورة الرحمن آية: ٢٦،٢٧.

(٣) سورة هود آية: ١١٩.

وروى الحاكم عن جابر قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال: «مالي أراكم سكوتًا؟ لَلْجن كانوا أحسن منكم ردًّا ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد».

وفي هذه السورة قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[1].

وجاء في سورة الجن على لسان الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ۝ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾[2].

أعمال الشيطان

ذكر القرآن أعمال الشياطين، من ذلك:

١ـ أن الشيطان يسوِّل المعصية ويزينها:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾[3].

والتسويل: تسهيل الأمر الذي يستشعر منه صعوبة أو ضر وتزيين ما ليس بحسن.

والإملاء: المد والتمديد في الزمان، ويطلق على الإبقاء على الشيء كثيرًا أي أراهم الارتداد حسنًا دائمًا.

---

(١) سورة الرحمن آية: ٤٦- ٤٧.

(٢) سورة الجن آية: ١٤-١٥.

(٣) سورة محمد آية: ٢٥.

٢ـ الشيطان يفتن ويوسوس:

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ (١)

ويقول: ﴿ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا ﴾ (٢)

٣ـ الشيطان يعد وُيمنِّي:

ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴿ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم ﴾ بِٱلۡفَحۡشَآءِ (٣).

معنى ﴿ يَعِدُكُمُ ﴾ يسول لكم وقوعه في المستقبل إذا أنفقتم خيار أموالكم.

وقال تعالى: ﴿ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾ (٤).

أي يعدهم ما لا يكاد ينجزه ويمنيهم الأماني الفارغة وهو يظهر النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد يكون بإلقاء الخواطر الفاسدة أو بألسنة أو ليائه

٤ـ الشيطان ينزغ وينسي:

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ (٥).

والنزغ: الغرز وإطلاق النزغ هنا على وسوسة الشيطان على وجه التشبيه فقد شبه حدوث الوسوسة الشيطانية في النفس بنزغ الإبرة ونحوها في الجسم ووجه الشبه

(١) سورة الأعراف آية: ٢٧.

(٢) سورة الأعراف آية: ٢٠.

(٣) سورة البقرة آية: ٢٦٨.

(٤) سورة النساء: ١٢٠.

(٥) سورة الأعراف آية: ٢٠٠.

بينهما التأثير الخفي وقال تعالى: ﴿ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِ ﴾[1] وقال: ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥ ﴾[2].

٥ـ الشيطان يمس ويؤذي:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ ﴾[4].

وقال الإمام القرطبي عند تفسيره لهذه الآية: (في هذه الآية دليل على فساد إنكار من أنكر الصرع من جهة الجن وزعم أنه من فعل الطبائع وأن الشيطان لا يسلك في الإنسان ولا يكون منه مس).

٦ـ تسخير الشياطين والجن لنبي الله سليمان:

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍ ﴾[5].

---

(١) سورة المجادلة آية: ١٩.

(٢) سورة الكهف آية: ٦٣.

(٣) سورة الأعراف آية: ٢٠١.

(٤) سورة البقرة آية: ٢٧٥.

(٥) سورة سبأ آية: ١٢.

فقد كان الجن يعملون لسليمان ما يشاء من قصور حصينة ومن المساكن الشريفة وتماثيل وصور الملائكة والأنبياء على ما اعتادوه فإنها كانت تعمل حينئذ في المساجد ليراها الناس ويعبدوا مثل عباداتهم وحرمة التصاوير شرع جديد والجفان جمع جفنة وهي صفحة الطعام وكالجوابِ أي كالأحواض الكبيرة وقيل كان يقعد على الجفنة ألف رجل وكذلك كانوا يصنعون له القدور الثابتات على الأثافي (الأحجار) لا تنزل عنها لضخامتها.

وقال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ۝٣٦ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ۝٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۝٣٨﴾[1] فمن الشياطين من يعمل الأعمال الشاقة التي لا يقدر عليها البشر وطائفة غواصون في البحار يستخرجون ما فيها من اللآلئ والجواهر والأشياء النفيسة التي لا توجد إلا فيها وآخرين مقرنين في الأصفاد أي موثوقون في الأغلال ممن قد تمرد وعصى وامتنع من العمل أو قد أساء في صنيعه واعتدى.

الحكمة من خلق إبليس:

ذكر ابن قيم الجوزية حكمًا كثيرة مترتبة على خلق إبليس منها:

أ ـ أن تظهر للعباد قدرة الرب تعالى على خلق المتضادات المتقابلات، فخلق هذه الذات التي هي أخبث الذوات وسبب كل شر في مقابلة ذات جبريل عليه السلام التي هي من أشرف الذوات وأطهرها وأزكاها، وهي سبب كل خير. وظهرت

---

(١) سورة ص آية: ٣٦.

قدرته سبحانه أيضًا في خلق الليل والنهار والدواء والداء، والحياة والموت، والحسن والقبيح وغير ذلك مما يدل أعظم الدلالة على كمال قدرته سبحانه.

ب ـ ظهور آثار أسماء الله القهرية، مثل القهار ، المنتقم، والشديد العقاب، والسريع الحساب، ذي البطش الشديد، المعز والمذل، فهذه الأسماء والأفعال لابد من وجود ما تتعلق به، ولو كان الجن والإنس على طبيعة الملائكة لم يظهر أثر هذه الأسماء.

جـ ـ ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه ومغفرته وستره وتجاوزه عن حقه، وعتقه لمن شاء من عبيده، فلولا خلق الأسباب المؤدية إلى ظهور آثار هذه الأسماء لتعطلت هذه الحكم والفوائد.

د ـ ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة، فهو يعز من يشاء ويذل من يشاء، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، وأعلم بمن يصلح لقبولها ويشكر له جميل صنعه.

هـ ـ إظهار واستخراج العبوديات المتنوعة التي لولا خلق إبليس لما ظهرت، كالجهاد والموالاة والمحبة في الله، والبغض في الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتوبة إلى الله والرجوع إليه، ومخالفة عدو الله والاستعاذة بالله منه، والاتعاظ، والحذر من الغرور، وغير ذلك.

* * *

العرش والكرسى

والقلم واللوح

العرش والكرسي والقلم واللوح

أولًا العرش:

هو جسم عظيم نوراني علوي فوق السموات السبع والأولى الإمساك عن القطع بتعيين حقيقته لعدم العلم بها .

وهو مما يجب الإيمان بوجوده لوروده بالدليل السمعي:

قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝ ﴾ (1) وقال: ﴿ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ۝ ﴾ (2) وقال ﷺ: «**إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي**» وعن أبي هريرة: قال رسول الله: «**فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة**». البخاري.

وقال البيهقي: (اتفقت أقاويل أهل التفسير على أن العرش هو السرير وأنه جسم خلقه الله وأمر ملائكته بحمله وتعبدهم بتعظيمه والطواف به كما خلق في الأرض بيتًا وأمر بني آدم بالطواف به واستقباله في الصلاة وحامل العرش وحامل حملته هو الله تعالى).

وعن أبي ذر قال رسول الله: «**يا أبا ذر ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاةٍ بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاةِ على الحلقة**»(3).

---

(1) سورة طه آية: ٥.

(2) سورة الحاقة آية: ١٧.

(3) رواه ابن حبان وصححه.

ثانيا الكرسي:

هو جسم عظيم نوراني تحت العرش ملتصق به فوق السماء السابعة بينه وبينها مسيرة خمسمائة عام كما نقل عن ابن عباس) والأولى أن نمسك عن الجزم بتعيين حقيقته لعدم العلم بها.

وورد ذكره في القرآن في آية الكرسي فقال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [1] فيجب الإيمان بذلك، وهو غير العرش خلافًا للحسن البصري.

والعرش والكرسي موجودان علويان خلقهما الله تعالى وهو غني عنهما وليس محتاجًا لهما وهو محيط بهما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾ [2] وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝﴾ [3].

وقال جل شأنه: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ۝﴾ [4].

وإنما خلقهما الله تعالى لحكمة لا نعلمها فهو سبحانه فوق العرش مع أنه مستغنٍ عنه.

---

(١) سورة البقرة آية: ٢٥٥.

(٢) سورة آل عمران آية: ٩٧.

(٣) سورة فاطر آية: ١٥.

(٤) سورة النساء آية: ١٢٦.

ثالثًا القلم:

هو جسم عظيم نوراني خلقه الله وورد ذكره في القرآن الكريم حيث أقسم به جل شأنه في قوله تعالى:﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝ ﴾ (١) وقد أمره الله تعالى أن يكتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة.

والأولى أن نمسك عن الجزم بتعيين حقيقته.

رابعًا اللوح:

جسم عظيم علوي كتب فيه القلم بإذن الله تعالى جميع ما كان وما يكون إلى قيام الساعة وقد ذكره الله تعالى في القرآن الكريم وأجمع عليه المسلمون قال تعالى: ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ۝ ﴾(٢).

وليس اللوح معمولًا للملائكة الكاتبين كما قد يتوهم بل القلم يكتب فيه بمجرد القدرة، وهو جسم نوراني وهو يكتب فيه الآن على التحقيق من أنه يقبل المحو والتغيير ونمسك عن الجزم بحقيقته.

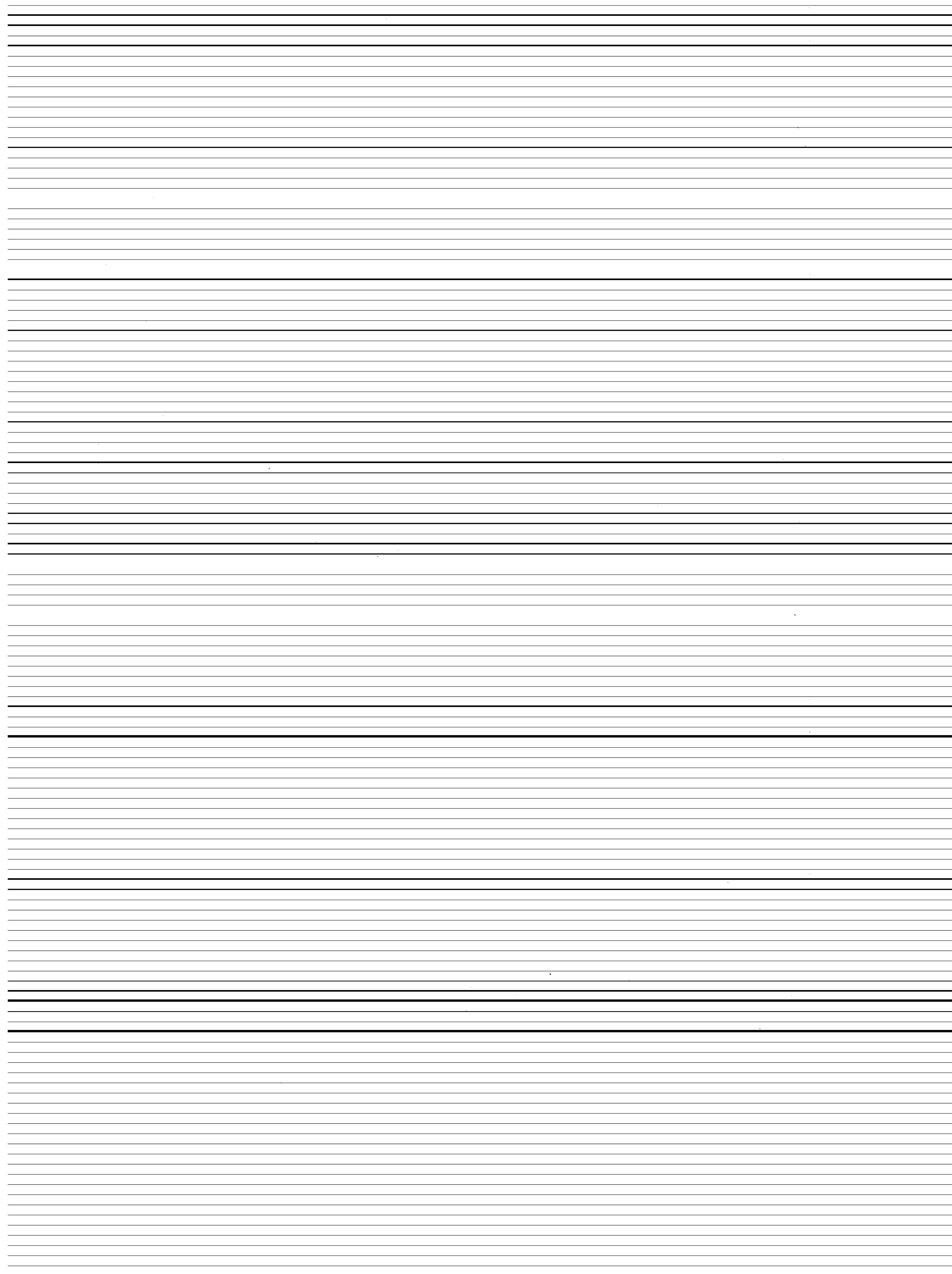
ومن هنا نعلم أن هذه الأمور الأربعة: العرش والكرسي والقلم واللوح من مخلوقات الله وأنه يجب الإيمان بها أما حقيقتها فالله أعلم بها ولسنا مكلفين بالعلم بها فالله استأثر بالعلم بها وأمرها مفوض إليه.

---

(١) سورة القلم آية: ١.

(٢) سورة البروج آية: ٢١.

الروح



مظهر أفعاله ومحل تصرفاته، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[1] فأشار بقوله ﴿ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ إلى الفطرة المقرَّة بالربوبية، والغريزة الإنسانية المستعدة لإدراك الحقائق الكلية والجزئية.

وهذا القول هو الصواب في المسألة، وهو الذي لا يصح غيره، وكلُّ الأقوال سواه باطلة. وعليه دلّ الكتاب والسنة وإجماع الصحابة

وقد جاء ذكرها في القرآن قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[2] وجاء ذكرها في الأحاديث النبوية فقال ﷺ «**إن الله قبض أرواحكم وردها إليكم حيث شاء**».

وعن عمرو بن عبسة السلمي قال: سمعت رسول الله ﷺ **يقول**: «**إن الله خلق أرواح العباد قبل العباد بألفي عام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**» وغير ذلك من الأحاديث.

وصرح العز بن عبد السلام بأن في كل جسد روحين إحداهما: روح اليقظة التي أجرى الله العادة بأنها إذا كانت في الجسد كان الإنسان مستيقظًا فإذا خرجت منه نام ورأت تلك الروح المنامات.

والأخرى: روح الحياة التي أجرى الله العادة بأنها إذا كانت في الجسد كان حيًّا فإذا فارقته مات، وهاتان الروحان في باطن الإنسان لا يعرف مقرهما إلا من أطلعه الله على ذلك.

---

(١) سورة التين آية: ٤.

(٢) سورة الإسراء آية: ٨٥.

وقيل: إن الروح التي في الجسد واحدة وأنها إذا فارقت البدن مفارقة كلية بطلت آلاته فمات وإذا كان لها نوع اتصال به كما في حالة النوم حفظت عليه قواه وآلاته فبقي حيًّا. والصحيح الأول وهو مذهب الأكثرين كما تدل عليه الآثار .

هل الروح هي النفس؟

قد ذكر السهيلي الخلاف بين العلماء في أن الروح هي النفس أو غيرها وقرر أنها ذات لطيفة كالهواء سارية في الجسد كسريان الماء في عروق الشجر، وقرر أن الروح التي ينفخها الملك في الجنين إنما هي النفس بشرط اتصالها بالبدن واكتسابها بحسبه صفات مدح أو ذم فهي إما نفس مطمئنة أو أمارة بالسوء كما أن الماء هو حياة الشجر ثم يكتسب بسبب اختلاطه معها اسمًا خاصًا فإذا اتصل بالعنبة وعصر منها صار ماء متغيرًا أو خمرًا ولا يقال له: ماء حينئذ كذلك لا يقال للنفس روح إلا على هذا النحو وكذلك لا يقال للروح نفس إلا باعتبار ما تصير إليه فحاصل الأمر أن الروح هي أصل النفس ومادتها فالنفس مركبة منها ومن اتصالها بالبدن فهي هي من وجه لا من كل وجه. قال ابن كثير: وهذا معنى حسن.

* والخوض في بيان حقيقة الروح مكروه لعدم التوقيف في ذلك (أي لعدم ورود نص صريح يبين حقيقتها) لكن كلام الجنيد يدل على الحرمة حيث قال: الروح شيء استأثر الله بعلمه فلم يَطَّلع عليه أحد من خلقه فلا يجوز لعباده البحث عنها بأكثر من أنها موجودة قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[1] .

(١) سورة الإسراء آية: ٨٥.

وعن ابن مسعود أنه لم يؤذن لرسول الله ﷺ أن يتكلم في الروح في سؤال اليهود له عنها وقال ابن عباس في نزول قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [1] قالت قريش لليهود: أعطونا شيئًا نسأل عنه هذا الرجل فقالوا: سلوه عن الروح فسألوه فنزلت الآية.

وما ذكر من عدم الخوض في الروح هو المختار فنمسك عن بيان حقيقتها وبيان مقرها من الجسد.

التناسخ

التناسخ: تعلق الروح بالبدن بعد مفارقتها البدن الذي كانت معه من غير تخلل زمان بين التعلقين واختُلف في التناسخ فقال أهل الحق من أصحاب الملل وغيرهم إن التناسخ باطل وقال بعضهم: التناسخ جائز وواقع والأدلة التي استدل بها القائلون بالتناسخ أخطئوا فهمها ومما يدل على بطلان التناسخ: أن الله تعالى خلق الأنواع والأجناس ورتب الأنواع تحت الأجناس وفصل كل نوع من النوع الآخر بفصله الخاص به الذي لا يشاركه فيه غيره، وهذه الفصول المذكورة لأنواع الحيوانات إنما هي لأنفسها التي هي أرواحها فنفس الإنسان حية ناطقة ونفس الحيوان حية غير ناطقة هذا هو طبيعة كل نفس وجوهرها الذي لا يمكن استحالته عنه فلا سبيل إلى أن يصير غير الناطق ناطقًا ولا الناطق غير ناطق ولو جاز هذا لبطلت المشاهدات وما أوجبه الحس وبديهة العقل.

---

(١) سورة الإسراء آية: ٨٥.

الموت والبرزخ

والقيامة الصغرى

يطلق على المرحلة التي يمر بها الإنسان بعد الحياة الدنيا عدة أسماء منها:
القيامة الصغرى والبرزخ والموت.

تعريف القيامة الصغرى:

القيامة الصغرى هي الموت، فكل من مات فقد قامت قيامته وانتهى أجله.

فإن كل من مات فقد دخل في حكم الآخرة، وتسمى القيامة الصغرى أيضًا بالمعاد الأول كما تسمى بالبرزخ.

البرزخ:

البرزخ في كلام العرب الحاجز بين الشيئين قال تعالى:﴿ **وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا**﴾ أي حاجزًا.

والبرزخ في الشريعة: الدار التي تعقب الموت إلى البعث قال تعالى: ﴿ **وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ [1]

قال مجاهد: هو ما بين الموت والبعث.

الموت:

الموت في اللغة والاصطلاح: الحياة والموت متناقضان تناقض النور والظلام والبرودة والحرارة، فإن معاجم اللغة العربية في تعريف الحياة تقول: "الحياة

(١) سورة المؤمنون آية: ١٠٠.

نقيض الموت والحي من كل شيء نقيض الميت والجمع أحياء" وفي تعريف الموت تقول: "الموت والمَوَتان ضد الحياة" وأصل الموت في لغة العرب: السكون، وكل ما سكن فقد مات، فيقولون: ماتت النار موتًا: إذا برد رمادها فلم يبق من الجمر شيء، وماتت الريح: ركدت وسكنت، وماتت الخمر: سكن غليانها.

والموت "انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار".

الموت حتم لازم:

الموت حتم لازم لا مهرب منه لكل حي من المخلوقات كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[1] وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾[2] ولو نجا أحد من الموت لنجا منه سيد الخلق محمد ﷺ قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾[3] وقد واسى الله رسوله بأن الموت سنته في خلقه:

(١) سورة الرحمن آية: ٢٦-٢٧.

(٢) سورة آل عمران آية: ١٨٥.

(٣) سورة الزمر آية: ٣٠.

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴾ (١) والموت حق على الإنس والجن ففي الصحيح عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «**أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت الذي لا يموت والإنس والجن يموتون**».

وللموت أجل محدد يأتي فيه فلا يستطيع أحد أن يتجاوز الأجل الذي قدره الله وقد قدر الله آجل العباد وجرى بذلك القلم في اللوح المحفوظ وكل إنسان مات أو قتل أو غرق أو احترق أو غير ذلك من الأسباب فإنه قد مات بأجله الذي قدره الله وأمضاه ويدل على ذلك نصوص كثيرة؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ (٢) وقال: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٣) وقال: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾(٤).

* ولا علم للعباد بالوقت الذي يحضر فيه الموت وينزل بهم فإن علم ذلك لله وحده وهو واحد من مفاتح الغيب التي استأثر الله بعلمها قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) سورة الأنبياء آية: ٣٤.

(٢) سورة آل عمران آية: ١٤٥.

(٣) سورة الأعراف آية: ٣٤.

(٤) سورة النساء آية: ٧٨.

عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾(1).

الاحتضار:

إذا حان الأجل أرسل الله رسل الموت لنزع الروح: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾(2)، وملائكة الموت تأتي المؤمن في صورة حسنة جميلة، وتأتي الكافر والمنافق في صورة مخيفة، ففي حديث البراء بن عازب أن الرسول ﷺ قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنّة، وحنوط (بفتح الحاء، ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى وأجسامهم خاصة) من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مدَّ بصره، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام، حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة (وفي رواية: المطمئنة) اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان. قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها...

(1) سورة لقمان آية: ٣٤.

(2) سورة الأنعام آية: ٦١.

وإن العبد الكافر (وفي رواية الفاجر) إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال على الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة [غلاظ شداد] سود الوجوه، معهم المسوح [من النار] فيجلسون منه مَّد البصر، ثمَّ يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب. قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود [الكثير الشعب] من الصوف المبلول، (فتقطع معها العروق والعصب)».

وما يحدث للميت حال موته لا نشاهده ولا نراه وإن كنا نرى آثاره، وقد حدثنا ربنا تبارك وتعالى عن حال المحتضر فقال: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾(1): والمتحدَّث عنه في الآية الروح عندما تبلغ الحلقوم في حال الاحتضار، ومَنْ حوله ينظرون إلى ما يعانيه من سكرات الموت، وإن كانوا لا يرون ملائكة الرحمن التي تنزع روحه ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾(2) كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾(3) وقال في الآية الأخرى: ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ

(1) سورة الواقعة آية: ٨٣- ٨٥.

(2) سورة الواقعة آية: ٨٥.

(3) سورة الأنعام آية: ٦١.

ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ۝﴾ [1] والتي تبلغ التراقي هي الروح، والتراقي جمع ترقوه وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق.

وقد صرح الحديث بأن ملك الموت يبشر المؤمن بالمغفرة من الله والرضوان، ويبشر الكافر أو الفاجر بسخط الله وغضبه، وهذا قد صرحت به نصوص كثيرة في كتاب الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۝﴾[2].

وهذا التنزُّل- كما قال طائفة من أئمة التفسير – إنما يكون حالة الاحتضار، ولا شك أن الإنسان في حال الاحتضار يكون في موقف صعب يخاف فيه من المستقبل الآتي كما يخاف على من خلَّف بعده، فتأتي الملائكة لتؤمنه مما يخاف ويحزن، وتُطَمْئِنُ قلبه، وتقول له: لا تخف من المستقبل الآتي في البرزخ والآخرة، ولا تحزن على ما خلفت من أهل وولد أو دَيْنٍ، وتبشره بالبشرى العظيمة، ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝﴾ [3]، ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ

(١) سورة القيامة آية: ٢٦-٣٠.

(٢) سورة فصلت آية: ٣٠-٣٢.

(٣) سورة فصلت آية: ٣٠.

فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[1]، وما دام العبد قد تولى الله وحده، فإن الله يتولاه دائما، وخاصة في المواقف الصعبة ومن أشقها هذا الموقف، ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾[2].

أما الكفرة الفجرة فإن الملائكة تتنزل عليها بنقيض ذلك ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾[3]، وقد نزلت هذه الآية كما أخرج البخاري عن ابن عباس في فريق أسلم ولكنه لم يهاجر فأدركه الموت، أو قتل في صفوف الأعداء، فإن الملائكة تقرّع هؤلاء في حال الاحتضار وتوبخهم وتبشرهم بالنار.

سكرات الموت:

للموت سكرات يعانيها كل إنسان حين الاحتضار كما قال تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾[4] وسكرات الموت: كرباته وشدائده، وقد عانى الرسول من هذه السكرات ففي مرض موته

---

(١) سورة فصلت آية: ٣١.

(٢) سورة فصلت آية: ٣١.

(٣) سورة النساء آية: ٩٧.

(٤) سورة ق آية: ١٩.

ﷺ كان بين يديه ركوة (علبة) فيها ماء فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: «**لا إله إلا الله إن للموت سكرات**» وتقول عائشة رضي الله عنها في مرض رسول الله ﷺ: "ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله ﷺ".

ولا شك أن الكافر والفاجر يعانيان من الموت أكثر مما يعاني منه المؤمن ووصف لنا القرآن الكريم الشدة التي يعاني منها الكفرة ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[1]

وهذا الذي وصفته الآية يحدث- كما يقول ابن كثير- إذا بشر ملائكة العذاب الكافر بالعذاب والأغلال والسلاسل وغضب الرحمن فتتفرق روحه في جسده وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين ﴿ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾[2]

وقد فسر ابن كثير بسط الملائكة أيديهم في قوله: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ ﴾ بالضرب.

---

(١) سورة الأنعام آية: ٩٣.

(٢) سورة الأنعام آية: ٩٣.

- ولقد أخبرنا الرسول أن الشهيد الذي يسقط في المعركة تخفف عنه سكرات الموت فقد روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم ألم القرصة**»[1] وقال: هذا حديث حسن غريب.

- وإذا نزل الموت بالإنسان تمنى العودة إلى الدنيا فإن كان كافرًا لعله يسلم وإن كان عاصيًا فلعله يتوب ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٠٠** ﴾[2].

- والإيمان لا يقبل إذا حضر الموت والتوبة لا تنفع إذا بلغت الروح الحلقوم وقد لا يتمكن المرء من التوبة في تلك الأهوال فعلى المرء أن يسارع بالتوبة قبل حلول الأجل.

وإذا حضر الموت كان الشيطان حريصًا على الإنسان حتى لا يفلت منه، فقد ذكر علماؤنا أن الشيطان يأتي الإنسان في تلك اللحظات الحرجة في صورة أبيه أو أمه أو غيرهم ممن هو مشفق عليه ناصح له ويدعوه إلى اتباع اليهودية أو النصرانية أو غيرها من المبادئ المعارضة للإسلام فهناك يزيغ الله من كتبت له الشقاوة وهو معنى قوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨** ﴾[3] ولكن هذا ليس لازمًا لكل أحد كما

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) سورة المؤمنون آية: ٩٩-١٠٠.

(٣) سورة آل عمران آية: ٨.

يقول ابن تيمية بل من الناس مَنْ تعرض عليه الأديان قبل موته ومنهم من لا تعرض عليه وقد وقع ذلك لأقوام وهذا كله من فتنة المحيا والمات التي أُمرنا أن نستعيذ بها في صلاتنا.

رحلة الروح إلى السماء:

عن أبي هريرة عند مسلم قال: «إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان- يصعدانها» قال حماد(أحد رواة حديث أبي هريرة عند مسلم) «فذكر من طيب ريحها، وذكر المسك» قال: «ويقول أهل السماء: روح طيبة جاءت من قبل الأرض، صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه، فينطلق به إلى ربه عز وجل، ثم يقول: انطلقوا به إلى آخر الأجل».

قال: «وإن الكافر إذا خرجت روحه- قال حماد وذكر من نتنها، وذكر لعنًا- ويقول أهل السماء: روح خبيثة من قبل الأرض، قال: فيقال: انطلقوا به إلى آخر الأجل».

وقد ذكر الرسول ﷺ في حديث البراء التكريم الذي يكون لروح العبد الصالح بعد خروجها من جسده، حيث تصلي ملائكة الله على تلك الروح الطيبة، وتفتح لها أبواب السماء، وتجعل في كفن من الجنة وحنوط من الجنّة، وتخرج منها روائح طيبة عطرة تفوق رائحة المسك، ثم تأخذها الملائكة في رحلة علويّة كريمة، وتفتح لها أبواب السماء، أما الروح الخبيثة، فتلعنها ملائكة السماء عند خروجها، وتغلق أبواب السماء دونها، ويدعو كل فريق من ملائكة الرحمن على باب ألا تعرج من قبلهم، وتجعل تلك الروح الخبيثة في حنوط من النار وكفن من النار، وتفوح منها الروائح

الخبيثة التي تؤذي ملائكة الرحمن، ويعرج بها إلى السماء فلا تفتح لها أبواب السماء، فتلقى روحه من شاهق، ففي حديث البراء بن عازب الذي يصف الرسول ﷺ فيه رحلة الإنسان من الموت إلى البرزخ قال: «حتى إذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وفتحت له أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج من قبلهم، فإذا أخذها (يعني ملك الموت) لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط فذلك قوله تعالى: ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[1]» ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض قال: فيصعدون بها فلا يمرون- يعني بها- على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان- بأحسن أسمائه التي كان يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[2]، فيكتب كتابه في عليين، ثم يقال: أعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى..».

---

(١) سورة الأنعام آية: ٦١.

(٢) سورة المطففين آية: ١٩-٢١.

وتحدث الرسول ﷺ عن الروح الخبيثة التي نزعت من العبد الكافر أو الفاجر، فقال عنها بعد نزعها: «فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء وتغلق أبواب السماء ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحه من قبلهم فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ [1]، فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى ثم يقول: أعيدوا عبدي إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فتطرح روحه من السماء طرحًا حتى تقع في جسده ثم قرأ: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝ ﴾ [2] فتعاد روحه إلى جسده» حديث صحيح.

(١) سورة الأعراف آية: ٤٠.

(٢) سورة الحج آية: ٣١.

القبر :

روى هانئ مولى عثمان بن عفان قال: كان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتذكر القبر فتبكي؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: ما رأيت منظرًا قط إلا القبر أفظع منه**»[1] ولما كان ما بعد القبر أيسر منه لمن نجا فإن العبد المؤمن إذا رأى في قبره ما أعد الله له من نعيم يقول: «**رب عجل قيام الساعة كي ما أرجع إلى أهلي ومالي**» والعبد الكافر الفاجر إذا رأى ما أعدّ الله له من العذاب الشديد فإنه يقول على الرغم مما هو فيه من عذاب: "رب لا تقم الساعة" لأن الآتي أشد وأفظع.

ضمة القبر:

عندما يوضع الميت في القبر فإنه يضمه ضمة لا ينجو منها أحد كبيرًا كان أو صغيرًا صالحًا أو طالحًا فقد جاء في الأحاديث أن القبر ضم سعد بن معاذ وهو الذي تحرك لموته العرش وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفًا من الملائكة ففي سنن النسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «**هذا الذي تحرك له العرش وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفًا من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه**»وفي مسند الإمام أحمد عن ابن عمر أيضًا أن الرسول ﷺ قال:

---

(١) أخرجه الترمذي.

«**إن للقبر ضغطة لو كان أحد ناجيًا منها لنجا سعد بـن معـاذ**» وممـا يـدل عـلى أن ضمة القبر لازمة لكل إنسان أن الصبيان لا ينجون منها ففي مسند الطبراني الكبير عن أبي أيوب الأنصاري بإسناد صـحيح وفي الكامـل لابـن عـدي عـن أنـس أن الرسول ﷺ قال: «**لو أفلت أحد من ضمة القبر لنجا هذا الصبي**».

فتنة القبر:

قيل: إن فتنة القبر هـي الـتلجلج والتلعـثم في الجـواب، وقيـل: هـي سـؤال الملكين منكر ونكير، وقد ورد أنه بعد انصراف الناس من دفن الميت يأتيه ملكان يقال لأحدهما منكر وللآخر نكـير يقعدانـه فيعيـد الله الـروح فيـه فيحيـا حيـاة متوسطة بين الموت والحياة الدنيوية ويرد إليه مـن الحـواس والعقـل مـا يتوقـف عليه فهم الخطاب ويمكن معه رد الجواب حين يُسأل.

ففي سنن الترمذي «إذا قبر الميت- أو قـال: أحـدكم- أتـاه ملكـان أسـودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر: النكير فيقـولان: مـا كنـت تقـول في هـذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبد الله ورسـوله، أشـهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.. وإن كان منافقًا قال: سمعت الناس يقولون قـولًا فقلـت مثله، لا أدري...»[1].

(١) رواه الترمذي.

وجاء في الحديث الذي يرويه البراء بن عازب عن الرسول ﷺ: «فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه و يجلسانه فيقولان له: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن، فذلك حين يقول الله ﷻ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾[1]، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي» وقال في العبد الكافر أو الفاجر: «ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه و يجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان: فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه، فيقال: محمد، فيقول: هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون ذاك، قال: فيقولان: لا دريت ولا تلوت (أي لا دريت ولا تبعت الناس بأن تقول شيئًا يقولونه) فينادي مناد: أن كذب عبدي» حديث صحيح.

وهذا السؤال يقع للشخص الميت ولو تمزقت أعضاؤه أو أكلته السباع أو حرق وسحق وذري في الهواء.

والحكمة في سؤال القبر إظهار ما كتمه العباد في الدنيا من إيمان أو كفر أو طاعة أو عصيان فالمؤمنون الطائعون يباهي الله بهم الملائكة وغيرهم يفضحون عند الملائكة.

---

(١) سورة إبراهيم آية: ٢٧.

أما كون السؤال باللغة السريانية أو أن كل إنسان يُسأل بلغته فالأسلم تفويض الأمر فيه لله تعالى لأنه من الأمور الغيبية التي لا مدخل للعقل فيها ولم يرد فيها دليل قاطع.

- والفتنة عامة لجميع المكلفين إلا النبيين فقد اختلف فيهم وإلا الشهداء ونحوهم ممن جاءت النصوص دالة على نجاتهم من الفتنة.

- واختلف في غير المكلفين من الصبيان والمجانين فذهب جمع من العلماء إلى أنهم لا يفتنون منهم القاضي أبو يعلى وابن عقيل ووجهة نظر هؤلاء أن الامتحان يكون لمن كلف أما من رُفع عنه التكليف فلا يدخل في الامتحان إذ لا معنى لسؤاله عن شيء لم يكلف به.

- وقال آخرون: بل يفتنون، وقد نُقل عن أصحاب الشافعي، وقد روى مالك وغيره عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ صلى على طفل فقال: «اللهم قه عذاب القبر وفتنة القبر» وهذا القول موافق لقول من قال: إنهم يمتحنون في الآخرة وأنهم مكلفون يوم القيامة كما هو قول أكثر أهل العلم وأهل السنة من أهل الحديث والكلام وهو الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة واختاره.

عذاب القبر ونعيمه:

اتفق الإسلاميون جميعًا على أن عذاب القبر ونعيمة حق والمشهور أن العذاب يكون للجسم والروح، وقد أنكر غير الإسلاميين عذاب القبر ونعيمه فقالوا: إن اللذة والألم والسؤال والجواب ونحو ذلك لا يتصور بدون العلم والحياة ولا

حياة مع فساد الجسم وبطلان المزاج، والمشاهدة تساعد على إنكار عـذاب القـبر ونعيمه فإنا نشاهد الميت أو المقتول يبقى مدة من غير تحرك وتكلم ولا أثـر تلـذذ أو تألم وربما يدفن في صندوق لا يتصور فيـه جلوسـه بـل ربـما تأكلـه الـسباع أو تحرقه النار فيصير رمادًا تذروه الرياح فالقول بعذاب القبر ونعيمه غير معقول.

والجواب عن هذه الشبهة هو أن الإنسان ليس عبارة عن ذلك الجـسم فقـط بل هو جسم وروح ولا يلزم في الحياة البرزخيـة أن تتعلـق الـروح بكـل أجـزاء البدن بل يكفي في تحققها تعلق الروح بأي جزء من أجزاء البدن لأنها حياة أقـل من الحياة الدنيوية وعند ذلك يعذب الميت أو يـنعم وعـدم رؤيتنـا لا يـضر فـإن الواحد منا يجلس بجوار النائم ويكون النائم في ألم شديد أو لذة عظيمة والجالس بجانبه لا يشعر بشيء من هذا؛ فهذه الشبهة لم تنتج استحالة عذاب القبر ونعيمه ودل ظاهر كتاب الله تعالى على أن في القبر عذابًا فإنكاره لا يصح.

الأدلة على عذاب القبر ونعيمه:

قد دل الكتاب الكريم والسنة المتواترة على إثبات حياة القبر.

قـــال الله ﷻ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾[1].

---

(١) سورة السجدة آية: ٢١.

وفي الآية دليل على عذاب القبر لأنه تعالى قال: ﴿ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ ﴾[1] ولم يقل: العذاب الأدنى فدل على أنهم بقيت لهم بقية من العذاب الأدنى يعذبون بها في قبورهم.

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2] والدليل فيها على إثبات عذاب القبر أن كثيرًا من الكفرة والظلمة يموتون ولا يعذبون في الدنيا فدل ذلك على عذاب دون عذاب النار وهو عذاب القبور.

- وقد وردت إشارات أخرى في القرآن تدل على عذاب القبر وقد ترجم البخاري في كتاب الجنائز لعذاب القبر فقال: باب ما جاء في عذاب القبر وساق في الترجمة قوله تعالى: ﴿ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[5].

(١) سورة السجدة آية: ٢١.

(٢) سورة الطور آية: ٤٧.

(٣) سورة الأنعام آية: ٩٣.

(٤) سورة التوبة آية: ١٠١.

(٥) سورة غافر آية: ٤٥.

والآية الأولى التي ذكرها البخاري إنما هي في تعذيب الملائكة الكفار في حـال الاحتضار، والآية الثانية تدل على أن هناك عذابين سيصيبان المنافقين قبل عذاب يوم القيامة: العذاب الأول ما يصيبهم الله به في الدنيا إما بعقاب من عنـده وإمـا بأيدي المؤمنين، والعذاب الثاني عذاب القبر، قال الحسن البـصري: "سـنعذبهم مرتين: عذاب الدنيا وعذاب القبر" وقال الطبري: والأغلب أن إحـدى المـرتين عذاب القبر والأخرى تحتمل الجوع أو الأسر أو القتل والإذلال أو غير ذلك".

والآية الثالثة حجة واضحة لأهل السنة الذين أثبتوا عذاب القبر فإن الحق سبحانه قرر أن آل فرعون يعرضون على النار صباحًا ومساءً وهذا قبل يوم القيامة لأنه قال بعد ذلك. ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [1] قال القرطبي: "الجمهور على أن هذا العرض يكون في البرزخ وهو حجة في تثبيت عذاب القبر" ، ومن الإشارات القرآنية الواضحة الدالة على فتنة القبر وعذابه قوله تبارك وتعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [2] ففي الحديث الذي يرويه البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إذا أقعد المؤمن في قبره أتى ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن

---

(١) سورة غافر آية: ٤٦.

(٢) سورة إبراهيم آية: ٢٧.

محمدًا رسول الله فذلك قوله ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ (١) وفي رواية أخرى: وزاد ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ (٢) نزلت في عذاب القبر».

وروى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مر بقبرين فقال: «إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير: أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة». ثم دعا بجريدة فشقها نصفين فقال: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا».

قال ابن القيم رحمه الله: مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحيانًا ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العباد ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى.

صفة نعيم القبر وعذابه

ذكر الرسول ﷺ في حديث البراء بن عازب أن الملائكة تسأل العبد المؤمن في قبره فيحسن الإجابة وعند ذاك «ينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنّة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مدّ بصره، قال: ويأتيه (وفي رواية: يمثل له)

(١) سورة إبراهيم آية: ٢٧.

(٢) سورة إبراهيم آية: ٢٧.

رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، (أبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم مقيم) هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له: (وأنت فبشرك بخير) من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح (فوالله ما علمتك إلا كنت سريعًا في طاعة الله، بطيئًا في معصية الله، فجزاك الله خيرًا)، ثم يفتح له باب من الجنّة، وباب من النار فيقال: هذا منزلك لو عصيت الله أبدلك الله به هذا، فإذا رأى ما في الجنة قال: رب عجل قيام الساعة كيما أرجع إلى أهلي ومالي (فيقال له اسكن)».

وذكر صلوات الله عليه وسلامه أن العبد الكافر أو الفاجر بعد أن يسيء الإجابة «ينادي منادي في السماء أن كذب فافرشوا له من النار وافتحوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه في قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه (وفي رواية: ويمثل له) رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول: (وأنت فبشرك الله بالشر)، من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، (فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئًا عن طاعة الله سريعًا إلى معصية الله) (فجزاك الله شرًا، ثم يقيض الله له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان ترابًا فيضربه حتى يصير بها ترابًا، ثم يعيده كما كان، فيضربه ضربة أخرى، فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين، ثم يفتح له باب من النار، ويمهد من فرش النار)، فيقول: رب لا تقم الساعة»حديث صحيح.

وهذا الذي أشارت إليه الأحاديث من أنَّ كل إنسان يعرض عليه مقعده بعد أن يسأل في قبره مستمر طيلة بقائه في القبر، وقد صرح بذلك الرسول ﷺ، ففي الحديث الذي يرويه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، «أن النبي ﷺ قال: إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنّة فمن أهل الجنّة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»[1].

وفي سنن الترمذي عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ أخبر أن الملكين يقولان للعبد المؤمن بعد أن يجيب الإجابة السديدة: «**قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك**». وأنهما يقولان للمنافق: «قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال معذبًا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»حديث حسن [2].

*** هل يعذب المسلمون في قبورهم ؟**

وعذاب القبر ليس مختصًا بالكافرين ولا المنافقين بل يشاركهم فيه طائفة من المؤمنين وكل على حاله من عمله وما استحقه من خطيئته وذنبه. والأدلة على ذلك كثيرة.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الترمذي.

أسباب عذاب القبر:

١، ٢ – عدم الاستتار من البول والنميمة:

روى البخاري ومسلم عن ابن عباس قال: مر النبي ﷺ على قبرين فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ثم قال: بلى أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله ثم قال: ثم أخذ عودًا رطبًا فكسره باثنتين ثم غرز كل واحد منهما على قبر ثم قال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا".

قوله: كان لا يستتر من بوله" أي لا يجعل بينه وبين بوله سترة يعني لا يتحفظ منه النميمة: هي نقل كلام الغير من قوم إلى قوم على جهة الإفساد بينهم.

٣- الغُلول

والغلول: الخيانة وأصله السرقة من مال الغنيمة قبل القسمة والأحسن أن المقصود بها مطلق الخيانة والحرام فهي من الذنوب التي يعذب صاحبها في القبر وقد صح في ذلك أكثر من حديث فعن أبي هريرة قال: أهدى رجل لرسول الله ﷺ غلامًا يقال له: مِدْعم فبينما مدعم يحط رحلًا لرسول الله ﷺ إذ أصابه سهم عائر (لايدرى من رماه) فقتله فقال الناس: هنيئًا له الجنة فقال الرسول ﷺ: «كلا والذي نفسي بيده إن الشملة (أي العباءة) التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارًا» فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك أو شراكين إلى النبي ﷺ فقال: «**شراك من نار أو شراكين من نار**»[1] ومسلم.

---

(١) رواه البخاري.

والشراك هو السير الذي يكون في النعل على ظهر القدم.

وكذلك من أسباب عذاب القبر الكذب وهجر القرآن والزنا والربا.

وكذلك يعذب الميت ببكاء الحي فعندما طعن عمر بن الخطاب ﷺ دخل عليه صهيب يبكي يقول: واأخاه واصاحباه فقال عمر ﷺ: يا صهيب أتبكي عليَّ وقد قال رسول الله ﷺ: "إن الميت يُعذب ببعض بكاء أهله عليه".

وقد يرد سؤال كيف يعذب ببكاء أهله عليه وليس ذلك من فعله والله يقول: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[1] للعلماء في ذلك أجوبة أحسنها أنه إنما يعذب الميت ببكاء الحي إذا كان البكاء من سنة الميت واختياره وكذلك إذا وصى به.

ومما يضر الميت في قبره ما عليه من دين فإنه يُحبس في قبره بدينه عن الجنة إن كان من أهلها حتى يُقضى عنه الدَيْن.

الذين يعصمون من فتنة القبر وعذابه:

من هؤلاء:

١ـ الشهيد (أي من قُتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا).

٢ـ الذي مات مرابطًا في سبيل الله (والرباط: هو الملازمة في سبيل الله مأخوذة من ربط الخيل ثم سمي كل ملازم لثغر من ثغور المسلمين مرابطًا فارسًا كان أو راجلًا (أي سواء كان بفرس أم بدون فرس).

(١) سورة الإسراء آية: ١٥.

٣ـ الذي يموت يوم الجمعة.

٤ـ الذي يموت بداء البطن.

هل تموت النفس؟

الأرواح مخلوقة بلا شك وهي لا تعدم ولا تفنى ولكن موتها بمفارقة الأبدان وعند النفخة الثانية تعاد الأرواح إلى الأبدان.

هل العذاب في البرزخ على الروح أم على البدن أم على كليهما؟

مذهب أهل السنة والجماعة أنه للروح منفصلة عن الجسد ومتصلة به يقول ابن تيمية: "العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين كما يكون للروح منفردة عن البدن".

هل يعلم الإنسان شيئًا عن أحوال الدنيا بعد موته؟

ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الميت يسمع قرع نعال أصحابه بعد وضعه في قبره فعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم..».

ووقف الرسول ﷺ بعد ثلاثة أيام من معركة بدر على قتلى بدر من المشركين فنادى رجالًا منهم فقال: «يا أبا جهل بن هشام يا أمية بن خلف يا عتبة بن ربيعة يا شيبة بن ربيعة أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًا» فقال عمر بن الخطاب: "يا

رسول الله! كيف يسمعوا أنى يجيبوا وقد جيفوا" قال: «والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا في قليب بدر».

وهذه النصوص وأمثالها تبين أن الميت يسمع في الجملة كلام الحي ولا يجب أن يكون السمع له دائمًا بل قد يسمع في حال دون حال كما قد يعرض للحي فإنه يسمع أحيانًا خطاب من يخاطبه وقد لايسمع لعارض يعرض له.

ولا يتعارض ذلك مع نفي السماع عن الميت في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [1] فإن المراد بذلك سمع القبول والامتثال فإن الله جعل الكافر كالميت الذي لا يستجيب لمن دعاه وكالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفقه المعنى فالميت وإن سمع الكلام وفهم المعنى فإنه لا يمكنه إجابة الداعي ولا امتثال ما أمر به ونهي عنه فلا ينتفع بالأمر والنهي وكذلك الكافر لا ينتفع بالأمر والنهي وإن سمع الخطاب وفهم المعنى كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [2] وقد جاءت النصوص دالة أيضًا على أن الميت مع سماعه يتكلم فإن منكرًا ونكيرًا يسألونه فالمؤمن يُوفق للجواب الحق والكافر والمنافق يضل عن الجواب ويتكلم أيضًا في غير سؤال منكر ونكير، وكل هذا مخالف لما عرفه أهل الدنيا من كلام فإن الذي يسأل ويتكلم الروح وهي التي تجيب وتقعد وتعذب وتنعم وإن كان لها نوع اتصال بالجسد.

* * *

---

(١) سورة النمل آية: ٨٠.

(٢) سورة الأنفال آية: ٢٣.

أشراط الساعة

وقوع القيامة حق:

الإيمان بيوم القيامة أصل من الأصول لا يتم الإيمان إلا به: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أُولَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾ [1] وقال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[2].

وقد ذكر القرآن أساليب متنوعة راقية ليؤكد وقوعها كقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾[3].

ومرة يؤكد وقوعها بـ "إنَّ" وهي أداة توكيد كقوله: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ ﴾[4].

ومرة بإنَّ واللام وهما أداتان للتوكيد كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [5] وفي بعض المواضع ينفي الشك عن وقوعها: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[6].

---

(١) سورة النساء آية: ١٦٢.

(٢) سورة البقرة آية: ١٧٧.

(٣) سورة الروم آية: ١١.

(٤) سورة طه آية: ١٥.

(٥) سورة الحجر آية: ٨٥.

(٦) سورة غافر آية: ٥٩.

وفي بعض الآيات يقسم الحق على أنها آتية واقعة مرة بنفسه ومرة بمخلوقاته العظيمة فمن إقسامه بنفسه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[1] ومن إقسامه بالعظيم من مخلوقاته قوله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ۞ وَكِتَٰبٍ ۞ مَّسْطُورٍ ۞ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۞ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۞ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۞ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۞ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۞﴾[2].

فقد أقسم الله في الآيات بالطور وهو جبل طور سيناء وهو الجبل الذي سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى وأقسم بالكتاب المسطور والمراد به القرآن أو ألواح موسى عليه السلام أو ما يكتب في اللوح المحفوظ وأقسم بالبيت المعمور وهو الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين أو بيت في السماء الرابعة وعمرانه كثرة عمّاره من الملائكة، والسقف المرفوع أي السماء، والبحر المسجور أي المملوء أو الموقد، من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۞﴾[3] لأن الله تعالى يجعل البحار يوم القيامة نارًا يسجر (يشعل) بها نار جهنم، ومن تتبع طريقة القرآن في تأكيد الإخبار بها وجد أنواعًا كثيرة.

---

(١) سورة النساء آية: ٨٧.

(٢) سورة الطور آية: ١-٧.

(٣) سورة التكوير آية: ٦.

الساعة قريبة

أعلن الله تعالى في كتابه المنزل منذ أربعة عشر قرنًا أن الساعة قد اقتربت وآن أوان وقوعها قال تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ ﴾ (١) ولو كان البشر يوقنون بما أنزل الله بقلب مبصر وعقل مدرك لها لعظم الأمر وشغل تفكيرهم، ولذلك كان حالهم عجبًا، والخطر قريب ومع ذلك فإنهم غافلون عن الهول الذي يكاد يحيط بهم: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ (٢) ولذلك فإنه قد كثر في القرآن تحذير العباد من الساعة والأمر بالاستعداد لها وعبر عنها بالغد وهو اليوم التالي لليوم الذي تعيش فيه ﴿ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾(٣).

قد يقال: كيف يكون قريبًا ما مضى على الإخبار بقرب وقوعه ألف وأربعمائة عام؟ والجواب أنه قريب في علم الله وتقديره وإن كانت مقاييس البشر تراه بعيدًا قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝ ﴾ (٤) ونريد أن ننبه إلى أن الباقي من الدنيا قليل بالنسبة لما مضى منها فإنك إذا وضعت لمن لك عليه دَيْن أجلًا

(١) سورة القمر آية: ١.

(٢) سورة الأنبياء آية: ١-٣.

(٣) سورة الحشر آية: ١٨.

(٤) سورة المعارج آية: ٦-٧.

طويلًا كأن تؤجله خمسين عامًا مثلًا فإذا انقضى من الخمسين خمسة وأربعون فيكون موعد السداد قد اقترب بالنسبة لما مضى من الموعد المحدد، والأحاديث النبوية تشير إلى هذا، ففي صحيح البخاري ومسلم عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما أجلكم فيمن مضى قبلكم من الأمم من صلاة العصر إلى مغرب الشمس**» وفي لفظ: «**إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس**».

إن الحديث يمثل الوجود الإنساني بيوم من أيام الدنيا ابتدأ وجود الأمة الإسلامية فيه عند العصر فيكون الماضي من عمر الوجود الإنساني بنسبة ما مضى من ذلك اليوم من الفجر إلى العصر ويكون الباقي من عمر الزمن حتى تقوم الساعة كما بين العصر والمغرب ذلك أن النصوص صريحة في أننا آخر الأمم وجودًا وأن نهاية وجود هذه الأمة يتحقق بقيام الساعة.

وقد يكون الباقي في حس البشر طويلًا لأن إدراكهم محدود ونظرتهم قاصرة ولكنه في ميزان الله قريب وقصير ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [1]، ﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾[2].

---

(١) سورة النحل آية: ١.

(٢) سورة النحل آية: ٧٧.

لا يعلم أحد وقت الساعة المعين

سُئل الرسول ﷺ عن الساعة فقال: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**» وكان السائل جبريل متمثلًا في صورة بشر فإذا كان أعلى الملائكة منزلة وهو جبريل وأعلى البشر منزلة وهو محمد ﷺ لا يعلمان متى تكون فأولى أن لا يعرف أحد غيرهما وقت وقوعها.

وقد صرح القرآن أن وقت وقوعها من خصائص علم الله وأنه لم يطلع أحدًا على وقت وقوعها قال تعالى: ﴿**يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾**﴾[1] وقال: ﴿**يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾**﴾[2] وهذه الآيات واضحة الدلالة على أن معرفة وقت الساعة لا يكون إلا لرب العزة وأنها تأتي فجأة.

والساعة إحدى مفاتح الغيب الخمسة التي هي من خصائص علم الله: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾**﴾[3] وفي صحيح البخاري عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[4] الآية**».

---

(١) سورة الأحزاب آية: ٦٣.

(٢) سورة النازعات آية: ٤٢.

(٣) سورة لقمان آية: ٣٤.

(٤) سورة لقمان آية: ٣٤.

لا يجوز الاشتغال في تحديد وقتها.

البحث في أمر وقت الساعة والزعم أنها ستقع في عام معين تقوّل على الله بغير علم والذين يبحثون في ذلك مخالفون للمنهج القرآني النبوي الذي وجه الناس إلى ترك البحث في هذا الموضوع ودعاهم إلى الاستعداد لهذا اليوم بالإيمان والأعمال الصالحة.

والذين يبحثون في هذا المجال يظنون أنه يمكنهم أن يعلموا ما لم يعلمه الرسول ﷺ وجبريل عليه السلام وكفى بذلك رادعًا لهم.

ولو كان في معرفة وقت الساعة صلاح وخير للبشر لأخبر الله به البشر ولكنه حجب ذلك عنهم وفي ذلك صلاحهم.

وينبغي للاحقين أن يتعظوا بحال السابقين فبعض السابقين خاض في هذا الأمر وحدّد للساعة أجلًا وجاء الأجل الذي حدده ولم يحدث شيء مما أخبر به فمن هؤلاء الإمام الطبري فإنه استنتج من بعض النصوص أن فناء الدنيا يكون بعد خمسمائة عام من بعثة سيدنا محمد وقد مر ما يقرب من ألف عام على الأجل الذي حدده ولم يصدق ظنه.

ومن هؤلاء السيوطي فإنه استنتج أن الساعة ستقوم على رأس المائة الخامسة بعد الألف من البعثة النبوية وقد مضى على الموعد الذي حدده سنوات ولم تقع الساعة بل لم يقع كثير من أشراطها وعلامتها.

تعريف أشراط الساعة:

قلنا إن الله تعالى أخفى وقت وقوع الساعة عن عباده ولكنه أعلمهم بأمارات وعلامات تدل على قرب وقوعها وقد سمى القرآن هذه العلامات بأشراط الساعة قال تعالى: ﴿**فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا**﴾[1].

و «الشَرَط» العلامة، وأشراطها: علاماتها، فالمراد بالأشراط: العلامات التي يعقبها قيام الساعة».

* * *

(1) سورة محمد آية: ١٨.

علامات الساعة الصغرى والكبرى

للساعة علامات جاءت مع قرب نهاية الزمان وابتدأت منذ زمن وهذه تعرف بالعلامات الصغرى وعلامات أخرى تأتي على مقربة من الساعة لها خطورتها وعظمها مع تواليها وتتابعها غالبًا وهذه تعرف بالعلامات الكبرى.

أولًا: العلامات الصغرى:

(أ) ما ظهر منها:

١ـ بعثة النبي محمد ﷺ، التي ختم الله تعالى بها سائر النبوات، فلا نبي بعده، وهذا يشير إلى قرب نهاية الحياة حيث لم تتطلب الفترة المتبقية من عمر الحياة لقصر زمنها تجديد التشريع ببعثة أنبياء آخرين، ولذا قال رسول الله ﷺ في الصحيحين: «**بعثت أنا والساعة كهاتين، وأشار إلى أصبعيه السبابة والوسطى، وقرن بينهما**».

٢ـ انشقاق القمر، آية له عليه الصلاة والسلام، وقد كان شرطًا من أشراط الساعة، لأن الله تعالى ذكره مقرونًا بالإخبار باقتراب الساعة، فقال تعالى:

﴿ **ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣** ﴾(١).

وقد انشق القمر فعلًا على عهد النبي ﷺ، حيث طلبت منه قريش آية تدل على نبوته فدعا الله فانشق القمر فلقتين على جبل أبي قبيس، على مرأى من أهل مكة وهم ينظرون إليه» حديث صحيح.

---

(١) سورة القمر آية: -٣١.

٣ـ موت النبي ﷺ، وقد عدها من علامات الساعة.

٤ـ تحديد الرسول مدة الخلافة من بعده بثلاثين سنة، ثم تحولها إلى مُلْكٍ عضوض قال ﷺ: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكًا»[1] في مسنده، وقد كان ذلك على يد أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وتمامها وختامها بستة أشهر وليها الحسن بن علي بعد أبيه، وعند تمام الثلاثين نزل عن الأمر لمعاوية بن أبي سفيان .

وقد قال ﷺ: «إنه ستكون فيكم النبوة ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة راشدة على منهاج النبوة ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكًا عضوضًا ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبريًا ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة راشدة على منهاج النبوة، ثم سكتﷺ» [2]، والحافظ العراقي وقال حديث صحيح. وقد كان من ذلك ما شاء الله ولم تبق إلا الخلافة.

والمقصود بالملك العضوض هو الملك الذي فيه ظلم.

٥ـ قوله ﷺ في الصحيحين: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، وتكون بينهما مقتلة عظيمة، دعواهما واحدة»[3] ومسلم، والمراد بالفئتين: علي ومن معه، ومعاوية ومن معه رضي الله عنهم أجمعين، والمقتلة العظيمة كانت بصفين.

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه أحمد.

(٣) رواه البخاري.

٦ـ قوله ﷺ: في رواية مسلم: «لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج، قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: القتل القتل» وهذه قتلى الحروب لا يعدون بالعشرات ولا بالمئات، بل بالألوف والملايين أيضًا في حين أن قتلى حروب الإسلام الأولى التي كانت على عهد رسول الله ﷺوالتي دامت ما يقرب من عشر سنوات لم تتجاوز ألفين وخمسمائة قتيل.

٧ـ قوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى»[1] ، وقد ظهرت النار في المدينة واستمرت شهرًا عام أربع وخمسين وستمائة من الهجرة في يوم الجمعة خامس جمادى الآخرة كما وصفها ﷺ، فقد شاهد الناس على ضوئها أعناق الإبل بالبصرة وهم في أرض الحجاز.

٨ـ ذكر إخباره ﷺ بالغيوب المستقبلة حتى قيام الساعة متمثلة في فرقة تقع ومعاصي ترتكب، وبلاء يحل، وجهل يظهر، وأمور تحدث، وموازين تقلب ومعايير تعكس..إلخ. ومنه قوله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: ما عليه أنا وأصحابي»[2].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أبو داود وغيره.

وعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت يا رسول الله: «إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ فقال: قوم يهدون بغير هديي يُعرفَ منهم ويُنكَر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله. صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم إمام ولا جماعة، قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[١].

والدخن: الفساد والحقد، جلدتنا: عشيرتنا.

وقوله صلوات الله وسلامه عليه: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بموت العلماء حتى إنه إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[٢].

وقوله ﷺ: «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويفشو الزنا، وتشرب الخمر، ويذهب الرجال وتبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد»[٣].

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

والمقصود كثرة النساء عن الرجال وقوامة النساء على الرجال.

وقولهﷺ: «يا معشر المهاجرين: خمس خصال إذا ابتليتم بهن- وأعوذ بالله أن تدركوهن- لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدوًا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله وسخروا بما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم».

والفاحشة: الزنا، السنين: القحط ، البأس: الشدة والعداوة.

وقال ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما بعد قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا»[1].

مائلات: أي عن طاعة الله ، مميلات: أي يُعَلِّمْنَ غيرهن مثل فعلهن ، رؤوسهن كأسنمة البخت: أي أنهن يكبرنها بما يلف عليها من الخُمُر ونحوها حتى تبدو كأسنمة الجمال.

وقولهﷺ: «إذا اتخذ الفيء دولًا، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وتُعُلِم العلم لغير الدين، وأطاع الرجل امرأته وعق أمه، وأدنى صديقه وأقصى أباه، وظهرت الأصوات

(١) رواه مسلم.

في المساجد، وساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأُكْرِم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء وزلزلة وخسفًا ومسخًا وقذفًا وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع»[1]، وقال حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

الفيء: الغنيمة ، القينات: المغنيات، القذف: رمي حجارة من السماء، وقوله:"وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع":أي تتتابع كتتابع خرز عقد قطع خيطه البالي .

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح، فلما صلى صلاته ناداه رجل: متى الساعة؟ فزجره رسول الله ﷺ وانتهره، وقال: اسكت حتى إذا أسفر رفع طرفه إلى السماء فقال: تبارك رافعها ومدبرها ثم رمى ببصره إلى الأرض فقال: تبارك داحيها وخالقها ثم قال: أين السائل عن الساعة، فجثا الرجل على ركبتيه، فقال: أنا بأبي أنت وأمي سألتك فقال: «ذلك عند حيف الأئمة وتصديق بالنجوم وتكذيب بالقدر وحتى تتخذ الأمانة مغنمًا والصدقة مغرمًا والفاحشة زيادة فعند ذلك هلك قومك»[2].

وقوله ﷺ: «بادروا بالموت إمرة السفهاء وكثرة الشرط وبيع الحكم واستخفاف الذمم وقطيعة الرحم ووجود فئة يتخذون القرآن مزامير يقدمونه للناس يلهونهم به وإن كانوا أقل منهم فقها»[3].

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه البزار وقال: لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٣) رواه الإمام أحمد وتفرد به.

وقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد»[1].

كما قال ﷺ: «يتقارب الزمان، وينقص العلم، ويبقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهرج قالوا: يا رسول الله إيما هو؟ قال: القتل القتل»[2].

وقوله ﷺ: «لا يأتي على الناس زمان إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم»[3].

وقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه»[4].

والمقصود أنه يتمنى أن يكون ميتًا مثله، وذلك بسبب كثرة الفتن وغلبة الباطل لأنه يخاف على دينه وهذا خاص بأهل الخير.

وقوله ﷺ: «منعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مديها ودينارها، ومنعت مصر إردبها ودينارها وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم » شهد ذلك لحم أبي هريرة ودمه»[5].

القفيز والـمُدْي والإردب:مكاييل خاصة بأهل هذه البلاد، والمقصود بهذا الحديث إما أنهم يمنعونها لإسلامهم فتسقط عنهم الجزية، وإما أنَّ

(١) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

(٣) رواه البخاري وكذلك الترمذي.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه مسلم.

العجم والروم يستولون على هذه البلاد فيمنعون حصول ذلك للمسلمين وهذا هو الأشهر.

وقوله ﷺ: لثوبان: «كيف أنت – يا ثوبان- إذا تداعت عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها؟ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أمن قلة بنا؟ قال: لا بل أنتم يومئذ كثير ولكن يلقى في قلوبكم الوهن، قال: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «حبكم الدنيا وكراهيتكم القتال»[1].

تداعت عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها معناه دعت بعضها بعضًا لمقاتلتكم كما يدعو الأكلة بعضهم بعضًا إلى الطعام.

ومن علامات الساعة أيضًا: «حين لا يأمن الرجل جليسه»[2] وكذلك: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان» جزء من حديث في الصحيحين.

معنى أن تلد الأمة ربتها: أن يكثر العقوق في الأولاد فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة بالسب والضرب والاستخدام. ومعنى تطاول رعاء الشاء في البنيان أن تتبدل الحال بأن يستولي أهل البادية على الأمر ويتملكوا البلاد بالقهر فتكثر أموالهم ويتجهون إلى تشييد البنيان والتفاخر به.

وكذلك: «حين يفيض المال فيكم حتى إن الرجل ليُعطَى عشرة آلاف يظل يسخطها»[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه أحمد.

وقوله ﷺ: «إن بين يدي الساعة كذابين منهم صاحب اليمامة، وصاحب صنعاء العبسي، ومنهم صاحب حمير، ومنهم الدجال وهو أعظمهم فتنة» تفرد به أحمد.

وكذلك قال: «لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كل يزعم أنه رسول الله»[١] وفي رواية: «وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم الأنبياء لا نبي بعدي»[٢].

وقال ﷺ: «إن أمام الدجال سنين خَدَّاعة، يُكَذَّب فيها الصادق، ويُصَدَّقُ فيها الكاذب فَيُخَوَّنُ فيها الأمين ويُؤْتَمَنُ فيها الخائن، ويتكلم فيها الرويبضة، قيل وما الرويبضة؟ قال: الفويسق يتكلم في أمر العامة»[٣].

وقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يكون أحظى الناس بالدنيا لكع بن لكع» [٤]، وكذا الترمذي بسند حسن. واللكع «اللئيم»

وقوله ﷺ: لمن سأله عن الساعة فقال: إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: وكيف إضاعتها؟ قال ﷺ: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»[٥].

وقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والجمعة كاليوم ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كاحتراق السعفة» والسعفة: الخوصة،[٦].

---

(١) رواه الإمام البخاري.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه الإمام أحمد بإسناد جيد.
(٤) رواه الإمام أحمد بسند جيد قوي.
(٥) رواه البخاري.
(٦) رواه أحمد على شرط مسلم.

وقال ﷺ: «إن من علامات الساعة أن تعزب «تغيب» العقول وتنقص الأحلام»(١).

وقوله ﷺ: «إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة وقطع الأرحام وشهادة الزور وكتمان شهادة الحق وظهور الجهل»(٢).

ومراده بتسليم الخاصة أن لايسلم المسلم إلا على من يعرفه .

وقال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يأخذ الله شريعته من أهل الأرض فيبقى فيها عجاجة «رعاع» لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا»(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «أمتي هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الدنيا الفتن ولزلازل والقتل»(٤).

وقال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا نعالهم الشعر، وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف وكأن وجوههم المجان المطرقة وتجدون خير الناس أشدهم كراهة لهذا الأمر حتى يدخل فيه والناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام وليأتين على أحدكم زمان لأن يراني أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله»(٥).

---

(١) رواه الطبراني.

(٢) رواه أحمد.

(٣) رواه أحمد.

(٤) رواه أبو داود.

(٥) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي.

ذلف الأنوف: فُطْس الأنوف، المجان: جمع مجن وهو الترس، والمطرقة: بمعنى أن وجوههم عريضة، والمقصود بهم التتار .

هذا والترك قد قاتلهم الصحابة فهزموهم وغنموهم وأسروا نساءهم وأبناءهم، ويحتمل وقوع ذلك مرة ثانية بين يدي الساعة.

وقوله ﷺ: «من أشراط الساعة أن يتدافع أهل المسجد للإمامة فلا يجدوا إمامًا يصلي بهم»[1].

وقوله ﷺ «كيف بكم وزمان أوشك أن يأتي يغربل الناس فيه غربلة، والناس قد مرجت عهودهم واختلفوا فكانوا هكذا، وشبك بين أصابعه. قالوا: كيف بنا يا رسول الله؟ قال: تأخذون بما تعرفون، وتدعون ما تنكرون، تقبلون على أمر خاصتكم وتذرون أمر عامتكم»[2].

ويقول ﷺ: «سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على السروج كأشباه الرحال، ينزلون بها على أبواب المساجد، نساؤهم كاسيات عاريات، على رؤوسهن البخت العجاف العنوهن فإنهن ملعونات»[3].

ويقول ﷺ: «ليكونن قوم من أمتي يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف»[4].

الحر: الفَرْج، أي يستحلون الزنا.

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه أحمد.

(٤) رواه البخاري.

ويقول ﷺ: «إن رجالًا يتخوضون في مال الله بغير حق، فليس لهم عند الله إلا النار»[1].

ومعنى الحديث أنهم يتصرفون في مال المسلمين بالباطل.

ويقول ﷺ: «يأتي زمان على الناس لا يبالي المرء فيه ماذا دخل جوفه»[2].

ماذا دخل جوفه: أي من حلال أو حرام.

يقول ﷺ: «يأتي زمان على الناس من لم يأكل الربا أصيب بشرره أو دخانه»[3].

وقال ﷺ: «سيأتي على الناس زمان لا يبالي المرء فيه أمن حلٍ أخذ المال أم من حرام»[4].

لا يبالي: أي لا يهتم.

(ب) علامات صغرى لم تظهر بعد:

* قوله ﷺ: «بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا، ويمسي كافرًا ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا»[5].

وقد أخذت هذه العلامة في الظهور، ووقع لعدد كثير من الناس ما حمله هذا الخبر النبوي الصادق.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الطبراني.

(٣) رواه الطبراني.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه مسلم.

* وقوله ﷺ: «ستفتحون من بعدي رومية والقسطنطينية، فسئل ﷺ: أي المدينتين تفتح أولًا: فقال ﷺ: مدينة هرقل تفتح أولًا، يعني القسطنطينية»[1].

هذا وقد فتحت القسطنطينية على يد «محمد الفاتح» سنة ١٤٥٣م، وقد بقي فتح رومية التي هي روما الفاتيكان، وقد ذكر أن «القسطنطينية» ستفتح مرة ثانية.

* وقوله ﷺ: «ست من أشراط الساعة: موتي، وفتح بيت المقدس، وموت يأخذ في الناس كقصاص الغنم وفتنة يدخل حريمها بيت كل مسلم، وأن يعطى الرجل ألف دينار فيسخطها وأن يغدر الروم فيسيرون بثمانين بندًا، تحت كل بند «لواء» اثنا عشر ألفًا»[2].

وقد تحقق منه قوله ﷺ: موتي كما تحقق فتح بيت المقدس لأول مرة على يد «عمر بن الخطاب» وبقي أن يفتح مرة ثانية كما تحقق كذلك أن يعطى الرجل ألف دينار فيسخطها، وبقيت الثلاثة الأخرى وقد أخذت طريقها في الظهور بظهور مقدماتها.

* وقوله ﷺ: «ستكون فتنة صماء بكماء عمياء، من أشرف لها استشرفت له، وقع اللسان فيها أشد من وقع السيف»[3].

وقد كان منها ما شاء الله، وبقي فيها ما هو أشد.

---

(١) رواه الإمام أحمد والدارمي والحاكم، وهو حسن الإسناد، وصححه الحاكم .

(٢) رواه أحمد.

(٣) رواه أبو داود.

وفي رواية قال ﷺ: «إنه ستكون فتنة وستصيب العرب، قتلاها في النار، وقع اللسان فيها أشد من وقع السيف»[1].

* وقوله ﷺ: «لن تقوم الساعة حتى تصير أرض الحجاز مروجًا وأنهارًا»[2].

وقد تحقق منه الجزء الأول، فأرض الحجاز الآن- وقد كانت واديًا غير ذي زرع- صارت بها مروج، أي مراعي وزروع وثمار وبقيت جزئية «الأنهار» التي تجري فيها لم تتحقق بعد، وهي في طريقها كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ.

* وقوله ﷺ: « لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ، ويقول كل رجل منهم: لعلي أكون أنا الذي أنجو»[3].

ومعنى انحسار الفرات: انكشافه لذهاب مائه.

* وقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه»[4].

والمراد بكونه يسوق الناس بعصاه: أنه يغلب الناس فيطيعونه.

وهذه العلامة لم تظهر، ويحتمل أن يكون هذا الرجل هو ذا السويقتين ويحتمل أن يكون غيره.

---

(١) رواه أبو داود وأحمد.

(٢) رواه مسلم وأحمد والحاكم.

(٣) رواه مسلم، وهذه لم تظهر بعد.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

* وقوله ﷺ: «إن الناس دخلوا في دين الله أفواجًا وسيخرجون منه أفواجًا»[1]. وهو وإن كان على ظاهره لم يتحقق بعد لكن من ينظر إلى حال الكثير من المسلمين وقد ارتكبوا الشرك ووقعوا في الكفر وفعلوا كل خصال النفاق ومظاهر الردة يرى أنه قد تحقق ولكن ربما هناك ما هو أشد من ذلك فيما يجد من الزمان أو بصورة مباشرة.

كقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دَوْس حول ذي الخلصة»[2].

وذو الخلصة: صنم كانت تعبده دوس في الجاهلية بتبالة.

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا قعودًا عند رسول الله ﷺ فذكر الفتن فأكثر من ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس (الحلس: الذي يلي ظهر البعير تحت القتب ملازمةً) فقال قائل: يا رسول الله وما فتنة الأحلاس؟ قال: هي حَرَبٌ وهَرَبٌ (بالفتح، أي سلب المال والأهل) ثم فتنة السراء (السراء: النعمة التي تسر الناس من وفرة المال والعافية) دخلها (الدخل: الغش والعيب والفساد) أو دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني إنما أوليائي المتقون، ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع، ثم فتنة الدهيماء (تصغير دهماء، وهي الداهية) لا تدع أحدًا من هذه الأمة إلا لطمته حتى إذا قيل انقضت عادت يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا حتى يصير

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

الناس إلى فسطاطين (الفسطاط: الجماعة من الناس) فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده»[١].

* وقال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت»[٢].

* وقوله «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة، ويسلبها حليها ويجردها من كسوتها، ولكأني أنظر إليه أصيلعًا أفيدعًا يضرب عليها بمساحيه ومعوله»[٣].

وقوله (أصيلعًا) تصغير كلمة أصلع، وقوله: (أفيدعًا) تصغير أفدع، والفَدَع: عِوَج في المفاصل كأنها قد فارقت مواضعها وأكثر ما يكون في رسغ اليد أو القدم.

ولكن هذه العلامة لا تكون إلا في نهاية الزمان بعد أن يحج عيسى عليه السلام بيت الله الحرام.

* وقوله ﷺ: «لن تقوم الساعة حتى يخرج الرجل من عند أهله فيخبره شراك نعله أو سوطه أو عصاه بما أحدث أهله بعده»[٤].

* وقوله ﷺ: «تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة حتى يأتي الرجل القوم فيقول: من صعق قبلكم الغداة؟ فيقولون: صعق فلان وفلان وفلان»[٥].

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أحمد بإسناد جيد قوي.

(٤) رواه الإمام أحمد.

(٥) رواه أحمد في مسنده.

وقال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تمطر السماء مطرًا لا تكن فيه بيوت المدر، ولا تكن منه بيوت الشعر» [1]، ولعل هذه العلامة بعد هلاك يأجوج ومأجوج، كما ذكر في الحديث عنهم.

* وقال ﷺ: «لا يذهب الليل والنهار حتى يملك رجل من الموالي يقال له جهجاه»[2].

وقوله ﷺ: «ليبلغن هذا الأمر «أي الإسلام» ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًا يعز الله به الإسلام وأهله وذلًا يذل الله به الكفر وأهله» [3]، والحديث حسن صحيح على شرط مسلم.

* وقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيختبئ اليهود خلف الشجر والحجر فينطق الشجر والحجر فيقول: يا مسلم، يا عبد الله، تعالَ ورائي يهودي فاقتله إلا شجر الغرقد فإنه من غرس اليهود»[4].

ولعل هذه العلامة تتأخر بعض الشيء حتى يخرج آخر اليهود مع الدجال، فتكون تلك العلامة وبها تكون نهاية اليهود في الأرض.

* وقوله ﷺ: «تصالحون الروم صلحًا آمنًا، وتقهرون أنتم وهم عدوًا من ورائهم، فتسلمون وتغنمون، ثم تنزلون بمرج ذي تلول فيقوم الرجل من الروم

---

(١) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه مسلم وأحمد.

(٣) رواه أحمد والطبراني والحاكم.

(٤) رواه مسلم وأحمد.

فيرفع الصليب، ويقول: الأغلب الصليب، فيقوم إليه رجل من المسلمين فيقتله، فعند ذلك تغدر الروم وتكون الملاحم فيجمعون لكم فيأتونكم في ثمانين غاية مع كل غاية عشرة آلاف»[1]، وبنحوه في البخاري.

وفي رواية البخاري: «فيأتونكم تحت ثمانين غاية، كل غاية اثنا عشر ألفًا».

المرج: الموضع الذي ترعى فيه الدواب، التلول: جمع تل وهو المكان المرتفع.

تغدر: تنقض العهد، الملاحم: الحروب.

ومن العلامات التي لم تظهر بعد «ظهور المهدي»

هو أحد الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، يكون في آخر الزمان، وآخر الأئمة الاثني عشر، وليس هو بالمنتظر الذي تزعم الروافض وترتجي ظهوره من سرداب في سامراء فإن ذاك ما لا حقيقة له وليس هو الذي تزعمه الشيعة، وليس بالذي يزعم لنفسه أنه المهدي.

والمهدي: اسمه «محمد بن عبدالله» من ولد فاطمة، من آل البيت، يحكم الناس سنين عددًا يملأ الأرض عدلًا وقسطًا، وفي عهده يكثر الخير ويفيض المال، ويشبه الرسول في الخُلُق ولا يشبهه في الخَلْق.

وأحاديث المهدي فيها الصحيح والحسن والضعيف، وحديثنا هنا عن المهدي ينحصر في الصحيح.

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه.

ومن ذلك:

* قوله ﷺ: «المهدي مني، أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطًا وعدلًا، كما ملئت جورًا وظلمًا، يملك سبع سنين»[1]، وقال صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

أجلى الجبهة: أي منحسر الشعر عن مقدم الرأس.

أقنى الأنف: أي طويل الأنف مع حدب وسطه ودقة أرنبته.

* وقال ﷺ: «يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطى المال صحاحًا، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعًا أو ثمانيًا يعني سنين». [2]، وأقره الحافظ الذهبي في التلخيص.

* وقال: «يخرج رجل من أمتي يقول بسنتي ينزل الله ﷻ له القطر من السماء وتخرج الأرض بركتها وتملأ الأرض منه قسطًا وعدلًا، كما ملئت جورًا وظلمًا، يعمل على هذه الأمة سبع سنين وينزل بيت المقدس»أخرجه الطبراني في المعجم والأوسط، ورجاله ثقات.

* وقال ﷺ: «المهدي من عترتي، من ولد فاطمة»[3].

---

(١) أخرجه أبو داود والحاكم.

(٢) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد.

(٣) أخرجه أبو داود وفي رواية «المهدي من ولد فاطمة» أخرجه ابن ماجه، وعترتي: أهل بيتي.

* وقال ﷺ: «يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثوًا، لا يعده عـدًّا، قـال- يعني جابر بن عبـدالله- قلـت لأبي نـضرة وأبي العـلاء : أتريـان أنـه «عمـر بـن عبدالعزيز»؟ فقالا: لا»[1].

* وقال ﷺ: «ينزل عيسى بن مريم فيقول أمـيرهم المهـدي: تعـال صـل بنـا، فيقول: ألا وأن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله لهـذه الأمـة»[2]. وفي روايـة «لا تزال طائفة من أمتي تقاتل على الحق، حتى ينزل عيسى بن مريم عنـد طلـوع الفجر ببيت المقدس، ينزل على المهدي فيقال: تقدم يا نبي الله فصل بنا، فيقـول: هذه الأمة أمراء بعضهم على بعض».

* وعن عبدالله قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ اغرورقت عيناه وتغير لونه، قال: فقلت: ما نزال نرى في وجهك شيئًا نكرهه، فقال: «إنَّا أهل بيت اختار الله لنا الآخـرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً وتشريدًا وتطريدًا، حتى يـأتي قـوم مـن قِبَل المشرق معهم رايات سود فيسألون الخبز فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي فيملأها قـسطًا كـما ملئـت جورًا، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوًا على الثلج»[3].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبدالله.

(٢) أخرجه أبو نعيم في أخبار المهدي وغيره.

(٣) رواه ابن ماجه.

* وذكر في أخبار المهدي: المهدي مولده بالمدينة، من أهل بيت النبي ﷺ، واسمه اسم النبي ﷺ ومهاجره بيت المقدس، كثيف اللحية ، أكحل العينين، براق الثنايا(الأسنان الأمامية)، في وجهه خال(شامة)، في كتفه علامة النبي، يخرج براية النبي ﷺ سوداء مربعة لم تنشر منذ توفي رسول الله ﷺ ولا تنشر حتى يخرج المهدي، يمده الله بثلاثة آلاف من الملائكة، يضربون وجوه من خالفهم وأدبارهم، يبعث وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين.

وفي زمانه يحج الناس ويقفون بعرفات، وهم على غير إمام، فبينما هم نزول بمنى، إذ أخذهم كالكَلَب «مرض يصيب الكلب» فثارت القبائل بعضهم إلى بعض، فاقتتلوا حتى تسيل العقبة دمًا فيفزعون إلى خيرهم فيأتونه، وهو ملصق وجهه إلى الكعبة يبكي فيقولون: هلم إلينا فلنبايعك، فيقول: ويحكم كم من عهد نقضتموه، وكم من دم سفكتموه، فيبايع كرهًا، فإن أدركتموه فبايعوه، فإنه المهدي في الأرض والمهدي في السماء وهو الذي يؤم عيسى ابن مريم عليه السلام.

يبايعه أول ما يبايعه سبعة من علماء الأمة من أنحاء مختلفة اجتمعوا على غير ميعاد لمبايعة المهدي فيبايعونه وهو كاره لذلك، يفر منهم أكثر من مرة حتى يقولون له: إثمنا عليك ودماؤنا في عنقك إن لم تمد يدك نبايعك، فيجلس بين الركن والمقام، فيمد يده فيبايع له، فيلقي الله محبته في صدور الناس، فيصير مع قوم أسُدٌ بالنهار، ورهبان بالليل.

ثم تخرج رايات سود لبني العباس، ثم تخرج من خراسان أخرى سود، قلانسهم (غطاء الرأس) سود وثيابهم بيض على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح من تميم، يهزمون أصحاب السفياني حتى ينزل بيت المقدس يوطئ للمهدي سلطانه ويمد إليه ثلاثمائة من الشام، يكون بين خروجه وبين أن يسلم الأمر للمهدي اثنان وسبعون شهرًا» من كلام نعيم بن حماد في كتاب الفتن.

* * *

ثانيًا: علامات الساعة الكبرى

وأما العلامات الكبرى فقد ورد في بعض الأخبار الصحيحة عن رسول الله ﷺ ذكر عشر منها، وذلك كحديث حذيفة بن أسيد الغفاري، حيث قال: (اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ﷺ ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم).

وفيما يلي نبين لك أهم وأشهر هذه الآيات حسب ما ذكره العلماء.

أـ طلوع الشمس من المغرب:

وهذه الآية بداية التغيير الذي يحدثه الله في نظام الكون في الحياة الدنيا، فأول هذا التغيير كما ورد في كثير من الأحاديث طلوع الشمس من المغرب على خلاف ما نعرفه من طلوعها من المشرق.

وقد ورد في بعض الأحاديث الصحيحة عن الرسول ﷺ أن هذه الآية تكون أول العلامات الكبرى ظهورًا، فقد روى عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبيﷺ قال: «إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها،

وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبًا»[1].

وهذه الآية إذا ظهرت ورآها الناس آمنوا جميعًا، وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها إذا لم تكن قد آمنت من قبل، وهو ما أشار الله تعالى إليه بقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾[2] وقد قال كثير من المفسرين ما حاصله: معنى الآية أن الكافر لا ينفعه إيمانه بعد طلوع الشمس من المغرب، وكذلك العاصي لا تنفعه توبته ومن لم يعمل صالحًا من قبل ولو كان مؤمنًا لا ينفعه العمل بعد طلوعها من المغرب.

ب ـ خروج الدابة:

وهذه الآية أشار إليها الله تعالى في القرآن حيث قال ﷻ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾[3].

وقد ورد ذكر خروج الدابة في أحاديث كثيرة، بعضها صحيح، وليس فيما صح من تلك الأخبار وصف لهذه الدابة التي يخرجها الله ﷻ قبيل قيام الساعة، وما ذكر من أوصافها في بعض الكتب ورد في روايات لم تبلغ حد الصحة، والمؤمن لا تهمه معرفة هذه الأوصاف، ويكفيه أن يقف عند النص القرآني

---

(١) أخرجه مسلم وأبو داود.

(٢) سورة الأنعام آية: ١٥٨.

(٣) سورة النمل آية: ٨٢.

والحديث الصحيح الذي يفيد أن خروج الدابة من علامات الساعة، وأنه إذا ما انتهى الأجل الذي تنفع فيه التوبة، وحق القول على الباقين، فلم تقبل منهم توبة بعد ذلك، وإنما يقضي عليهم بما هم عليه، عندئذ يخرج الله لهم دابة تكلمهم، وتعرف على المؤمن وعلى الكافر. وإذا كان الناس لا يعهدون تكلم الدواب، فإن الخالق القادر يمكنها من ذلك، فيفهم منها الناس ويعلمون أنها الخارقة المنبئة بقيام الساعة أو اقترابها، وقد كانوا من قبل لا يؤمنون بآيات الله، ولا يصدقون بيوم القيامة.

جـ ـ ظهور الدجال:

والدجال هو الكذاب شديد الدجل، والدجل في اللغة هو التغطية، وسمي الكذاب دجالًا لأنه يغطي الحق بباطله، ومن علامات الساعة الكبرى ظهور شخص سماه الرسول ﷺ بالدجال، لكثرة تدجيله وكذبه، يدعي الألوهية، ويحاول أن يفتن الناس عن دينهم بما يحدثه من خوارق العادات وعجائب الأمور، بإذن الله سبحانه وتعالى، فيفتن به بعض الناس، ويثبت الله الذين آمنوا، فلا ينخدعون بدجله وضلاله، ثم يأذن الله بالقضاء على فتنته، فينزل عيسى عليه السلام فيقتله جاء في شرح النووي على صحيح مسلم « الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده وإنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى من إحياء الميت الذي يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره ونهريه واتباع

كنوز الأرض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره ويقتله عيسى صلى الله عليه وسلم ويثبت الله الذين آمنوا. هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار... وإنما يدعي الألوهية، وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله، ووجود دلائل الحدوث فيه، ونقص صورته، وعجزه عن إزالة العور الذي في عينيه، وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه. ولهذه الدلائل وغيرها لا يغتر به إلا رعاع من الناس، لسد الحاجة والفقر، رغبة في سد الجوع، أو خوفًا من أذاه لأن فتنته عظيمة جدًا تدهش العقول مع سرعة مروره في الأمر ، فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حاله ولدلائل الحدوث فيه والنقص، فيصدقه من صدقه في هذه الحالة. ولهذا حذرت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من فتنته، ونبهوا على نقصه، ودلائل إبطاله. وأما أهل التوفيق فلا يغترون به، ولا يخدعون لما معه، لما ذكرنا من الدلائل المكذبة له، مع ما سبق لهم من العلم بحاله).

هذا وقد ورد في ذكر الدجال جملة أحاديث صحيحة، نذكر منها:

- عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: (قام رسول الله ﷺ في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: إني لأنذركموه وما من نبي إلا وقد أنذره قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولًا لم يقله نبي لقومه: إنه أعور وإن الله ليس بأعور) انظر فتح الباري.

- روي حذيفة بن اليمان ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لأنا أعلم بما مع الدجال منه: معه نهران يجريان، أحدهما رأي العين ماء أبيض والآخر رأي العين نار تأجج فإما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه نارًا، وليغمض ثم ليطأطئ رأسه، فيشرب منه، فإنه ماء بارد وإن الدجال ممسوح العين، عليها ظَفَرة (جلدة تغطي البصر، أو لحمة تنبت عند المآقي) غليظة مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب»صحيح مسلم.

- وعن النواس بن سمعان قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع (المقصود: حقر من شأنه بما يتصف به من العور وغيره وبما سينتهي أمره إليه من الفناء، ورفع أي عظم من فتنته والمحنة به حتى حذر كل نبي من فتنته) حتى ظنناه في طائفة النخل (أي على مقربة من نخل المدينة)، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال: ما شأنكم؟ قلنا: يا رسول الله، ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم: إنه شاب قطط (شديد جعودة الشعر) عينه طافئة، كأنني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشام والعراق (أي سيظهر في مكان بين الشام والعراق) فعاث يمينًا وعاث شمالًا، يا عباد الله فاثبتوا. قلنا: يا رسول الله: وما لبثه في الأرض؟ قال أربعون يومًا: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم

كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم: قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقدروا له قدره. قلنا: يا رسول الله: وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم (السارحة هي الماشية التي تسرح، أي تذهب أول النهار إلى المرعى) أطول ما كانت ذرى (الذرى، بضم الذال هي الأعالي والأسنمة)، وأسبغه ضروعًا (أي ضروعها كثيرة اللبن)، وأمده خواصر(أمده خواصر: أي لكثرة امتلائها من الشبع) ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين، ليس بأيديهم شيء من أموالهم ، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل(أي كجماعة النحل، واليعاسيب هي ذكور النحل). ثم يدعو رجلًا ممتلئًا شبابًا، فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين (أي قطعتين)، رمية الغرض (أي يجعل بين الجزلتين مقدار رمية الغرض) ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين (أي ثوبين مصبوغين)، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل (أي لا يمكن ولا يقع) لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه. فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله...) انظر صحيح مسلم.

هذه الأحاديث وغيرها حجة لمذهب أهل السنة في وجوب الاعتقاد بظهور الدجال حسب ما أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام، وما وصفه به من الصفات، وما يؤول أمره إليه، وأنه من العلامات الكبرى لقيام الساعة.

د ـ نزول عيسى عليه السلام:

دلت السنة وأجمعت الأمة على أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان: قرب الساعة أثناء وجود الدجال فيقتله ويحكم بشريعة الإسلام، ويحيى من شأنها ما تركه الناس ثم يمكث في الأرض ما شاء الله أن يمكث ثم يموت ويصلي عليه المسلمون ويدفن، وقد ورد بذلك أحاديث صحيحة كثيرة، فيجب على كل مسلم أن يصدق به، وأن يعتقد بما أخبر به كتاب ربنا من أن عيسى عليه السلام لم يقتله اليهود وإنما رفعه الله إليه، وأنه لن يموت حتى ينزل قبل قيام الساعة، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾[1].

---

(١) سورة النساء آية: ١٥٧-١٥٩.

فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾[1]. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾[2]، قال ابن كثير: (قال ابن جرير: وأولى هذه الأقوال بالصحة القول الأول، وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه إلا آمن به قبل موت عيسى عليه السلام. ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح، لأنه المقصود من سياق الآيات في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك وإنما شبه لهم، فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك، ثم أنه رفعه إليه وأنه باقٍ حي وأنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة... فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم...).

ومن الأحاديث الواردة في ذكر نزول عيسى عليه السلام ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا فيكسر الصليب [3]، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية[4]،

(١) سورة النساء آية: ١٥٧.

(٢) سورة النساء آية: ١٥٩.

(٣) المراد بذلك أنه عليه السلام يك سره حقيقة، ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه.

(٤) المقصود بوضع الجزية: أن عيسى عليه السلام يسقطها عن أهل الكتاب فلا يقبل منهم إلا الإسلام وليس معنى ذلك أن عيسى عليه السلام ينسخ حكمًا من شريعة الإسلام ولكن هذا الحديث يدل على أن قبول الجزية في شريعة الإسلام ملغيًا بنزول سيدنا عيسى عليه السلام.

ويفيض المال[1] حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها. والأحاديث في هذا كثيرة صحيحة. صحيح البخاري.

هـ ـ ظهور يأجوج ومأجوج:

وقد ورد ذكر هذه العلامة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾[2]. ذكر الله في الآيات أن ذا القرنين في طوافه في الأرض بلغ بين السدين فوجد من دونهما قومًا اشتكوا له من الضرر الذي يصيبهم من يأجوج ومأجوج وطلبوا منه أن يبني بينهم وبينهم سدًّا يمنع عنهم فسادهم فاستجاب لطلبهم، ويأجوج ومأجوج

(١) أي يكثر المال بسبب ما ينشره عيسى عليه السلام من العدل بين الناس.

(٢) سورة الأنبياء آية: ٩٦-٩٧.

أُمتان كثيرتا العدد وهما من ذرية آدم عليه السلام، والسد الذي أقامه ذو القرنين مانعهم من الخروج وذلك مستمر إلى آخر الزمان عندما يأتي وعد الله ويأذن لهم بالخروج وعند ذلك ينِدك السد ويخرجون على الناس جماعات جماعات كموج البحر، وهذا يحدث في آخر الزمان قال ﷻ : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ۝ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝ ﴾[1].

وقوله: ﴿ مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴾ أي يسرعون في الإفساد في الأرض، والحَدَب هو المرتفَع في الأرض،وهذه صفتهم حال خروجهم .

ومما ورد في ذكرهم من الأحاديث الصحيحة ما أخرجه البخاري ومسلم عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دخل عليها يومًا فزعًا يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلَّق بأصبعيه: الإبهام والتي تليها» قالت زينب ابنة جحش: يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث».

ومنها ما أخرجه الإمام مسلم وغيره من حديث النواس بن سمعان ففيه خبر الدجال ونزول عيسى وذكر يأجوج ومأجوج، حيث قال رسول الله ﷺ: «ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء».

---

(١) الأنبياء: ٩٨.

وهناك أحاديث صحيحة أخرى ذكرت يأجوج ومأجوج، ومجموع النصوص الواردة بذكرهم يفيد العلم اليقيني بظهور هذه الأمة المفسدة في أواخر عمر هذه الدنيا فكان لابد للمؤمن من تصديق ما ورد به القرآن والخبر الصحيح من أمرهم، وأما تحديد الزمن الذي تظهر فيه هذه الأمة، والتفصيلات المتعلقة بأشكالهم وأوصافهم ومكان وجودهم قبل ظهورهم، فكل هذا من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله تعالى.

* * *

انقلاب الكون

ودماره

انقلاب الكون ودماره:

إذا أذن الله بإفناء الكون وانتهاء الحياة الدنيا أمر الملك المسمى «إسرافيل» أن ينفخ في الصور نفخة واحدة للفناء فيكون ذلك أول شيء يسمعه أهل الدنيا بعد وقوع أشراط الساعة فإذا سمع الناس تلك النفخة فزعوا فينظرون فلا يبقى أحد من أهل الأرض إلا انتبه يستمع هذا الأمر العظيم الذي قد أزعج الناس عما كانوا فيه من أمر الدنيا وشغلهم بها؛ قال تعالى في وقوع هذا الأمر العظيم:

﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[1]. وتطول نفخة الفزع هذه فيصاب الكون كله بخلخلة عنيفة فترتج الأرض رجًّا عميقًا وتهتز وتتزلزل زلزالًا رهيبًا وتندك مع الجبال دكًّا فتصير ترابًا وغبارًا وتصاب السماء بانشقاق عظيم فتتبعثر الكواكب ويذهب ضوء الشمس وتنصهر الأجرام السماوية بجميع مجراتها فإذا هي كالنحاس المذاب تمامًا بل وتشتعل البحار نارًا فيصير العالم كله خرابًا وبخارًا فيطير الإنسان هنا وهناك كالفراش المبعثر في كل مكان بلا تفكير ولكن سرعان ما يتلاشى ويزول.

يقول الله تعالى في كتابه مصورًا تلك الأحداث العظيمة والأهوال الفظيعة:

(١) سورة النمل آية: ٨٧.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾(١).

ويقول: ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ ﴾(٢)، ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ ﴾(٣).

وقال: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ ﴾(٤).

وقال: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ ﴾(٥).

وقال: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ ﴾(٦).

---

(١) سورة الحج آية: ١-٢.

(٢) سورة القارعة آية: ١-٥.

(٣) سورة الزلزلة آية: ١-٣.

(٤) سورة الواقعة آية: ١-٦.

(٥) سورة التكوير آية: ١-٦.

(٦) سورة الانفطار آية: ١-٤.

وقال: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ وَحُمِلَتِ ﴿١٣﴾ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ ﴿١٤﴾ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾[1].

وتطول تلك النفخة بأمر الله تعالى حتى يُصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله كما قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[2].

ما هو الصور؟

الصور في لغة العرب القَرْن أو البوق، ففي سنن الترمذي وأبي داود ومسند أحمد عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: «ما الصور؟ قال: الصور قرن ينفخ فيه».

وما ذكره بعض أهل العلم من أن الصور من ياقوتة أو من نور فلا يُعلم في ذلك حديث صحيح.

(١) سورة الحاقة آية: ١٣-١٨.

(٢) سورة الزمر آية: ٦٨.

اليوم الذي يكون فيه النفخة

تقوم الساعة في يوم الجمعة ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خُلِقَ آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة**».

- وإذا تساءلنا: من الذين استثناهم الله تعالى: ﴿**إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ**﴾[1].

قلنا: هم الأموات لأن الأموات لا يعلمون بشيء من ذلك إذ الفزع يصل إلى الأحياء.

والشهداء: لأنهم أحياء عند ربهم يرزقون فوقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه، لأنه عذاب الله يبعثه على شرار خلقه فيمكثون في ذلك العذاب ما شاء الله حتى يأمر إسرافيل بنفخة الصعق فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله من الملائكة.

كم مرة ينفخ في الصور؟

الذي يظهر من ذلك أن إسرافيل ينفخ في الصور مرتين الأولى يحصل بها الصعق والثانية يحصل بها البعث قال الله تعالى: ﴿**وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾**﴾[2].

(١) سورة الزمر آية: ٦٨.

(٢) سورة الزمر آية: ٦٨.

وقد سمى القرآن النفخة الأولى بالراجفة والنفخة الثانية بالرادفة، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝ ﴾ (1) وقد رجح هذا جمع من أهل العلم منهم القرطبي وابن حجر العسقلاني.

وذهب جمع من أهل العلم إلى أنها ثلاث نفخات وهي نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة البعث.

وممن ذهب هذا المذهب ابن العربي وابن كثير، وما استدلوا به ضعيف .

أسماء يوم القيامة:

سمى الله ذلك اليوم الذي يحل فيه الدمار بهذا العالم ثم يعقبه فيه البعث والنشور للجزاء والحساب بأسماء كثيرة فمن أشهر أسماء ذلك اليوم يوم القيامة، وورد هذا الاسم في سبعين آية في القرآن كقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾(2). والقيامة سميت بذلك لما يقوم فيها من الأمور العظيمة التي بينتها نصوص القرآن والسنة .

ومن أسمائه الواردة في القرآن ما يأتي:

اليوم الآخر: كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾(3).

---

(1) سورة النازعات آية: ٦.

(2) سورة النساء آية: ٨٧.

(3) سورة البقرة آية: ٢٣٢.

وأحيانًا يسميه بالآخرة أو الدار الآخرة كقوله تعالى: ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾[1].

وقوله: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾[2].

وسمي ذلك اليوم باليوم الآخر لأنه اليوم الذي لا يوم بعده.

ومن أسمائه كذلك: الساعة، يوم البعث، القارعة، يوم الخروج، يوم الفصل، يوم الدين، الصاخة، يوم الحسرة، الغاشية، يوم الخلود، يوم الحساب، الواقعة، ويوم الوعيد، ويوم الآزفة، يوم الجمع، الحاقة، يوم التلاق، يوم التناد، يوم التغابن .

* * *

(١) سورة النساء آية: ٧٤.

(٢) سورة القصص آية: ٨٣.

البعث والنشر

والحشر

مفهوم البعث والنشر:

البعث: هو إحياء الله تعالى الموتى.

والنشر: هو إخراج الله تعالى الموتى من قبورهم بعد بعثهم.

فالبعث والنشر متغايران. وقيل: معناهما واحد وهو الإحياء والإخراج معًا فكل من إحياء الموتى وإخراجهم يسمى: بعثًا أو نشرًا.

أدلة البعث والنشور.

البعث أمر ممكن عقلًا ورد به القرآن الكريم والسنة الصحيحة وأجمعت عليه الشرائع كلها.

ولقد أكثر سبحانه وتعالى من ذكر اليوم الآخر في كتابه وأقام عليه الأدلة ورد شبهات المنكرين للبعث في كثير من المواضع كما فصَّل في القرآن أمور ذلك اليوم وحوادثه تفصيلًا لم يسبق له مثيل في الكتب السابقة مع أن كل رسول أرسله الله بشَّر قومه وأنذرهم بهذا اليوم العظيم وكفر كل من ينكره أو يشك فيه؛ قال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾[1].

ويخبرنا القرآن عن نوح ﷺ أنه قال لقومه: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾[2] وعن إبراهيم ﷺ أنه قال:

---

(١) سورة النساء آية: ١٣٦.

(٢) سورة نوح آية: ١٧.

﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢﴾[1] وقال سبحانه لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ١٦﴾[2] وقد أمر الله سبحانه نبيه محمدًا ﷺ أن يُقسِم به على البعث في أكثر من موضع؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾[3].

والذين ينكرون البعث إنما يكذبون رسل الله جميعاً أولئك الذين قامت الأدلة على صدقهم في كل ما أخبروا به وتكذيبهم في أي خبر تكذيب للعقل الذي حكم بصدقهم وعناد لا معنى له.

والمنكرون للبعث ليس لهم دليل على إنكارهم وذلك لأنه أمر من أمور الغيب الذي لا يعلمه إلا الله وهذه الأمور لا سبيل لأحد في إثباتها أو إنكارها إلا سبيل واحد هو إخبار الله ﷻ فمن قامت الأدلة القاطعة على تلقيه من عند الله تعالى فهو الصادق فيما يخبر به عن شيء من هذه الأمور وهذا أمر لم يثبت إلا للرسل الكرام فهم الذين أيدهم الله بالمعجزات وأطلعهم على بعض الغيب وقد تقدم اتفاقهم على الإخبار بيوم البعث.

(١) سورة الشعراء آية: ٨٢.

(٢) سورة طه آية: ١٥.

(٣) سورة التغابن آية: ٧.

موقف القرآن ممن أنكر البعث:

إن فكرة البعث واضحة تمامًا بحيث إن إنكارها ليس في نظر القرآن إلا زعمًا وظنًا وغفلة شديدة وهكذا يعبر القرآن عن منكري البعث ﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝ ﴾ [1] ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ﴾ [2] ﴿ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [3].

ويرد القرآن على هؤلاء بالتنبيه على أحقية البعث وإثبات حصوله بما يسمى:

١ـ دليل النشأة الأولى:

وهذا الدليل واضح جدًا، إن ابتداء خلق الكون حادثة كونية عظمى لا يمكن أن تقوم بها المادة من تلقاء نفسها هذه المادة الجامدة الصماء لا يمكنها أن تخلق إنسانًا مفكرًا فيه المشاعر والأحاسيس وكلها أمور أعظم من المادة وأعلى قدرًا منها.

لابد إذن بالمنطق الواضح من أن يكون هناك خالق أعلى من المادة ومن الإنسان خلق الكون ورتبه ونظمه وأبدعه وخلق فيه الإنسان ليسير به نحو التقدم.

فإذا كان الله قد أنشأ الكون وخلق الإنسان في البدء على غير مثال سابق فما أسهل وأهون- بحسب تصوراتنا البشرية- أن يعيد مثل هذا الخلق وهذا الإنشاء مرة أخرى.

---

(١) سورة الذاريات آية: ١٠.

(٢) سورة التغابن آية: ٧.

(٣) سورة ص آية: ٢٧.

يكفي أن يتذكر الإنسان قصة بدء الخلق فيدرك بالفطرة احتياج هذا الخلق إلى غير المادة وأن هذا الخالق له من القدرة والفاعلية ما يمكنه من إعادة هذا الخلق وإنشائه مرة أخرى.

قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝﴾ (1) وقال تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (2).

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝﴾ (3)؛ فإن من قدر على البدء قدر على الإعادة:

وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ إذ كل عاقل يعلم ضرورة أن من قدر على النشأة الأولى فهو على النشأة الأخرى أقدر وأنه لو كان عاجزًا عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق وعلمه بتفاصيل خلقه قال: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝﴾ (4) فإذا كان تام العلم كامل القدرة فكيف يصعب عليه أن يحيى العظام وهي رميم (بالية)؟

---

(1) سورة الأعراف آية: ٢٩.

(2) سورة الإسراء آية: ٥١.

(3) سورة يس آية: ٧٨-٧٩.

(4) سورة يس آية: ٧٨.

وأما من تفرقت أجزاؤه في مشارق الأرض ومغاربها وصار بعضه في بطون السباع وبعضه في بطون السمك أو أن إنسانا أكل آخر وصارت أجزاء المأكول في أجزاء الآكل فإن أعيد فأجزاء المأكول إما أن تعاد إلى بدن الآكل فلا يبقى للمأكول أجزاء تخلق منها أعضاؤه وإما أن تعاد إلى بدن المأكول منه فلا يبقى للآكل أجزاء فقد رد سبحانه على هذه الشبهة بقوله: ﴿ بِكُلِّ وَهُوَ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (1) ذلك لأن في الآكل أجزاء أصلية وأجزاء فضلية وفي المأكول كذلك فإذا أكل إنسان إنسانًا صار الأصلي من أجزاء المأكول فضليًا من أجزاء الآكل والأجزاء الأصلية للآكل هي ما كان له قبل الأكل، والله يعلم الأصلي من الفضلي فيجمع الأجزاء الأصلية للآكل وينفخ فيه روحه ويجمع الأجزاء الأصلية للمأكول وينفخ فيه روحه، وكذلك الجميع يجمع أجزاءهم المتفرقة من الأماكن والبلاد المتعددة بقدرته الكاملة وكذلك الإنسان يموت فتأكله الأرض وتختلط ذرات جسده بذرات التراب بعد أن صار الجسد ترابًا كذلك، وآخر يموت فيحرق ثم يذرى (يتبعثر رماده) في الماء أو الهواء فكيف يعرف،وكيف يجمع؟

يجيب الله ﷻ فيقول: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾ (2).

٢ـ دليل إحياء الأرض بعد موتها:

يعرض الله أمام أبصارنا كل يوم إعادة جديدة وبعثًا جديدًا فهذه الأرض الساكنة الهامدة ينزل الله عليها الماء فتتشقق وتنبت أزواجًا بهيجة من النباتات المختلفة الخواص والأشكال والطعوم والروائح.

---

(1) سورة يس آية: ٧٨.

(2) سورة ق آية: ٤.

﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾[1].

عندما تتحقق مشاهدة الإنسان للكون ولخروج النبات يدرك أنه أمام نموذج رائع للبعث يتكرر في الكون كل يوم وتقع عليه الحواس في كل لحظة، أفيعجز ذلك الصانع المكون الذي يبعث في الأرض الهامدة حياة جديدة في كل ساعة ولحظة عن بعث تلك الحياة كلها مرة أخرى بعد أن تفنى؟

ولذلك يعقب الله تلك الآية السابقة بقوله: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2].

يقول تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ ﴾[3].

دليل حسي يراه كل إنسان إذا نظر إلى الأرض الميتة التي لا زرع فيها ولا ثمر لعدم وجود مياه الري فإذا نزل عليها ماء المطر عادت إليها الحياة فازدادت وانتفخت وأنبتت من كل صنف حسن يسر الناظرين.

٣ـ من قدر على الأعظم قدر على الأيسر من باب أولى:

وذلك قوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۞ ﴾[4] فإن كل عاقل يعلم أن من قدر على

(١) سورة الروم آية: ٥٠.
(٢) سورة الروم آية: ٥٠.
(٣) سورة الحج آية: ٥-٦.
(٤) سورة يس آية: ٨١.

الشيء العظيم فهو على ما دونه أقدر فمن قدر على حمل قنطار فهو على حمل أوقية أشد اقتدارًا فأخبر الله أن الذي أبدع السموات والأرض على جلالتهما وكبر أجسامهما وسعتهما أقدر على أن يحيي عظامًا بالية.

٤ـ دليل إخراج الشيء من ضده:

قد يتوهم المنكرون للبعث أن الحياة والموت ضدان فالموت إفناء للحياة فكيف إذن يبعث الناس إلى الحياة مرة أخرى بعد أن فنوا بالموت وانتهت حياتهم به؟

وهذا الاستبعاد البشرى ربما ينطبق على قدرات البشر فتوجيهه إلى الله جهل وجهالة بقدرة الله غير المتناهية من هنا لفت الله أنظار هؤلاء إلى حقيقة واقعة يبصرونها كل يوم فقال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾(١).

فالشجر الأخضر الرطب اللين كيف تنبعث منه النار المشتعلة التي تحتاج إلى جفاف ويبوسة؟ إن الله تعالى يخرج الضد من ضده فيما هو مشاهد واقع أمام أبصار الناس في كل زمان ومكان فالحياة والموت كذلك لا يختلفان في ذلك عن اللين والجفاف والرطوبة واليبوسة أو الشجر الأخضر وانقداح (اشتعال) النار.

وإذا قال المنكرون: إن الشجرة الخضراء يصيبها من التغيرات الطبيعية ما يقربها من الجفاف ويناسب بينها وبين النار، ولكن السؤال هو: من أين تأتي تغيرات الجو وكيف تحدث هل تحدث بنفسها أو بقدرة القادر الأعظم؟

---

(١) سورة يس آية: ٨٠.

ومن الأدلة على البعث كذلك في كتاب الله

* إحياء بعض الأموات في هذه الحياة: حدثنا الله تعالى عن شيء من هذه المعجزة فمن ذلك أن قوم موسى قالوا له: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[1] فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ثم بعثهم الله بعد موتهم ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ثُمَّ ﴿٥٥﴾ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾[2].

وقتل بنو إسرائيل قتيلًا واتهموا شخصًا بقتله فنفى التهمة عن نفسه فأمرهم نبيهم (موسى) أن يذبحوا بقرة فذبحوها بعد أن أتعبوا أنفسهم في طلب صفاتها ثم أمرهم نبيهم بعد ذبحها أن يضربوا القتيل بجزء منها فأحياه الله وهم ينظرون منذهلين فأخبر عمن قتله قال تعالى مخبرًا عن ذلك ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾[3].

وحدثنا عن الذي مر على قرية وقد دمرت فتعجب من إحياء الله لها بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه فلما سُئل: كم لبثت؟ ظن أنه لم يلبث إلا يومًا أو بعض يوم وبعد أن أحياه الله أحيا له حماره أمام عينيه وهو ينظر إلى قدرة الله كيف تعيد الخلق كما كان العظام تتشكل وتتكون أولًا ثم تكسى باللحم ثم تنفخ الروح وكذلك طعامه الذي كان معه قبل أن يميته الله قد بقي طوال المائة عام سليمًا لم

---

(١) سورة البقرة آية: ٥٥.

(٢) سورة البقرة آية: ٥٥-٥٦.

(٣) سورة البقرة آية: ٧٣.

يتعفن وتلك آية أخرى على قدرة الله العظيمة يقول تعالى: ﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٥٩﴾(1).

وإبراهيم عليه السلام دعا ربه أن يريه كيف يحيي الموتى فأخبرنا الله عن ذلك فقال: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٦٠﴾(2).

فأمره الله أن يأخذ أربعة من الطيور فيذبحها ثم يفرق أجزاءها على عدة جبال ثم يناديها ويأمرها بأن تجتمع فكان كل عضو يأتي ويقع في مكانه المحدد فلما تكامل اجتماعها نفخ فيها الروح وطارت.

وعيسى عليه السلام كان يصنع من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله وقدرته وكذلك كان يحيي الموتى بإذن الله فقد قال الله عنه: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ

---

(1) سورة البقرة آية: ٢٥٩.

(2) سورة البقرة آية: ٢٦٠.

أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[1] وغير ذلك من الأمثلة الواردة في القرآن.

السر في اهتمام القرآن بعقيدة البعث والجزاء وأثر ذلك في نفس الإنسان:

إذا نظرنا إلى آيات القرآن الكريم لوجدنا فيها اهتمامًا كبيرًا بعقيدة البعث والجزاء وتنبيه على عظم اليوم الآخر وهول أحداث القيامة ولوجدنا تحذيرًا رهيبًا للناس بوقائعها الفظيعة.

ومما يدل على هذا الاهتمام كثرة الأسماء التي أطلقها القرآن على اليوم الآخر لكي يصور لنا من خلال هذه الأسماء الكثيرة التي تبلغ ما يقرب من ثلاثمائة اسم هول مواقفه وأحداثه فهو يوم البعث ويوم القيامة ويوم الدين ويوم الحساب ويوم الخروج والغاشية والطامة الكبرى والواقعة والقارعة...إلخ.

فما السر في اهتمام القرآن الواضح بهذه العقيدة عقيدة البعث والجزاء؟

ما السر في أن يكرر المسلم ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾[2] في صلاته عديدًا من المرات بالصباح والمساء؟

نقول: إن الاعتقاد بالآخرة يمثل حقيقة عميقة التأثير في حياة البشرية كلها لن يستقيم للبشرية حال إن لم تشعر بأن الآخرة أمام عينيها في حياتها الدنيا ولن يستقيم للبشرية حال إن لم ترتفع أنظارهم وقلوبهم إلى عالم آخر بعد عالم الأرض

---

(١) سورة آل عمران آية: ٤٩.

(٢) سورة الفاتحة آية: ٤.

وإلى حياة أخرى خالدة تعقب هذا العمر المحدود القصير الذي لا يزيد على كونه فترة قصيرة من مراحل طويلة قادمة هي الفيصل في أمر الإنسان وهي النعيم الدائم أو العذاب الدائم.

فالمؤمن بالآخرة يعتقد بيقين أن ما يحدث على الأرض وراءه ما وراءه فليس أمر الإنسان متروكًا مهملًا وليست أعماله ونياته أشياء تافهة لا تؤثر في مجرى الكون.

إن القرآن الكريم أخبرنا أن قولًا من أقوال الإنسان قد يفعل في الكون هزة عنيفة تكاد السموات منها أن تنفطر وتكاد الأرض منها أن تتشقق وتكاد الجبال منها أن تندك عندما زعموا لله الولد قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾[1].

وقد خلق الله الإنسان لغاية وأرسل له الرسل وأنزل عليهم الكتب وشرع لهم منهج حياتهم الذي فيه صلاحهم، فهل يجرؤ الإنسان بعد هذا أن يعتقد أن أفعاله مهملة لا قيمة لها وليس لها غاية؟ إن الإنسان مسئول مسئولية جدية خطيرة فلولا الإيمان بالدار الآخرة لانقلب العالم غابة تأكل وحوشها بعضها بعضًا فلا رادع ولا خوف.

وماذا يخشى الإنسان ما دام كل ما يفعله ذاهبًا هباءً بلا حساب أو جزاء؟

---

(١) سورة مريم آية: ٨٨- ٩١.

ما الذي يبعث الإنسان الذي يستمسك بالأخلاق والقيم على الاستمساك بها وكل شيء ذاهب إلى غير رجعة وضائع؟

وأي معنى يكون للحياة في أعين الناس إذا كان بإمكان كل إنسان منهم أن يفعل ما يفعل دون أن تقف أمام رغباته وأطماعه أي قيود؟

إن الإيمان بالآخرة يمثل مفترق طريق بين طائفتي: طائفة المؤمنين بها وطائفة المنكرين لها.

وكلا الطائفتين متناقض مع الطائفة الأخرى عقيدة وسلوكًا وشعورًا وإن تساووا ظاهرًا.

لكن القضية ليست قضية اعتقاد أو إنكار، فإن الاعتقاد إذا ألقينا به وراء ظهورنا دون أن يؤثر في الخُلُق والعمل والسلوك فليس له فائدة ولسنا بذلك نقلل من شأن الاعتقاد فهو الأساس ولكننا حين نعتقد ثم نترك هذا الاعتقاد وراء ظهورنا فإننا لا نفعل شيئًا ذا قيمة ونكون بذلك نسخر من أنفسنا.

ولكن المراد هو أن نتمثل الدار الآخرة في شعورنا الحياتي وسلوكنا اليومي وأن نعطي للآخرة دور الموجه الذي يُوجِّه نوايانا وأفعالنا إلى ما فيه الخير وبذلك لا يصبح الاعتقاد أمرًا غريبًا منفصلًا عن سلوكنا وبذلك أيضًا نضيف عنصر «البقاء» إلى دنيانا الفانية وليس هناك شك أن في ذلك صلاح الدنيا والآخرة معًا.

أول من تنشق عنه الأرض:

أول من يبعث وتنشق عنه الأرض هو نبينا محمد ﷺ ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع**».

الحشر:

هناك في الآخرة نوعان من الحشر: الأول: هو سوق العباد بعد بعثهم وإخراجهم من قبورهم إلى موقف الحساب للفصل بينهم.

ودليله قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ۝﴾[1]

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۝﴾[2].

والثاني: هو سوق العباد من موقف الحساب إلى الجنة أو إلى النار بعد محاسبتهم ودليله قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾[3].

والإيمان بالحشر واجب ومنكره كافر لإنكاره معلومًا من الدين ورد في القرآن.

حشر الخلائق جميعًا إلى الموقف العظيم:

سمى الله يوم البعث والنشور بيوم الجمع لأن الله يجمع فيه الأولين والآخرين قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ۝ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝﴾[4].

---

(١) سورة ق آية: ٤٤.

(٢) سورة طه آية: ١٠٢.

(٣) سورة الزمر آية: ٧١-٧٣.

(٤) سورة الواقعة آية: ٤٩-٥٠.

والله الذي لا يعجزه شيء قادر على الإتيان بمن هلكوا في أنحاء الفضاء أو ذهبوا في أعماق الأرض ومن في بطون السباع أو أسماك البحار كل ذلك عند الله سواء قال تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

وعلم الله كقدرته محيط بالعباد فلا ينسى منهم أحدًا فإن الله أحصاهم وَعَدَّهم قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾[2].

وهذه الآيات تدل بعمومها على حشر الإنس والجن والملائكة جميعًا وقد اختلف أهل العلم في حشر البهائم، وقال بعض أهل العلم كابن تيمية والقرطبي بأن الله يحشر البهائم جميعها كما دلّ على ذلك الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾[4].

وقال أبو هريرة: يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة: البهائم والطير والدواب وكل شيء فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجماء (التي لا قرن لها) من القرناء (أي التي لها قرون) ثم يقول: كوني ترابًا فذلك قوله تعالى حكاية عن الكفار: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾﴾[5] ونحوه.

(١) سورة البقرة آية: ١٤٨.
(٢) سورة الكهف آية: ٤٧.
(٣) سورة التكوير آية: ٥.
(٤) سورة الأنعام آية: ٣٨.
(٥) سورة النبأ آية: ٤٠.

صفة حشر العباد:

يحشر العباد حُفَاةً (أي لا يلبسون النعال) عُرَاةً (أي لا يلبسون الثياب) غُرْلًا (أي غير مختونين) ففي صحيح البخاري ومسلم عن ابن عباس أن النبي ﷺ: قال: «إنكم محشورون حفاة عراة غُرلًا» ثم قرأ ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾(1).

ولقول النبي ﷺ في الحديث الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلًا قلت: يا رسول الله: النساء والرجال جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض قال ﷺ: يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض».

- ومراتب الناس في الحشر مختلفة فمنهم الراكب وهو التقي ومنهم الماشي وهو قليل العمل ومنهم الماشي على وجهه وهو الكافر فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفًا مشاةً وصنفًا ركبانًا وصنفًا على وجوهم» قيل: يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: «إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما إنهم يتقون بوجوههم كل حَدَب وشَوْك». (إنهم) أي الكفار (يتقون) أي يدفعون (كل حدب) أي مكان مرتفع، ويراد بذلك بيان هوانهم واضطرارهم إلى حد جعلوا وجوهم مكان الأيدي والأرجل في التوقي عن مؤذيات الطرق والمشي إلى المقصد لمّا لم يجعلوها ساجدة لمن خلقها وفي القرآن الكريم: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ

---

(1) سورة الأنبياء آية: ١٠٤.

ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ذَٰلِكَ ﴿٩٧﴾ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ﴾[1]

وقد جاء في بعض النصوص أن كل إنسان يبعث في ثيابه التي مات فيها فقد روى أبو داود وابن حبان والحاكم عن أبي سعيد الخدري أنه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها» وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

وقد وفَّق البيهقي بين هذا الحديث والحديث الذي يدل على حشر الناس حفاةً عراةً غرلًا بأن المراد هاهنا الأعمال أي يبعث في أعماله التي مات فيها من خير أو شر قال الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[2] وقال: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾[3].

واستشهد البيهقي على هذا بحديث عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**يبعث كل عبد على ما مات عليه**».[4] ، ويفهم من هذا الحديث أن العبد يبعث على الحال التي مات عليها من الإيمان والكفر أو الصلاح والفسق لا أن يبعث في ثيابه التي كُفِّن فيها أو مات فيها.

---

(١) سورة الإسراء آية: ٩٧-٩٨.

(٢) سورة الأعراف آية: ٢٦.

(٣) سورة المدثر آية: ٤.

(٤) رواه مسلم في صحيحه.

فالذي يموت وهو محرم يبعث يوم القيامة ملبيًا ففي صحيح البخاري ومسلم ومسند أحمد عن عبدالله بن عباس قال: إن رجلًا كان مع النبي ﷺ فوقصته ناقته (أي أسقطته فكسرت عنقه) وهو محرم فمات فقال رسول الله ﷺ: «اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبيه ولا تمسوه بطيب ولا تخمروا رأسه (أي لا تغطوا رأسه) فإنه يبعث يوم القيامة ملبيًا».

والشهيد يبعث يوم القيامة وجرحه ينزف اللون لون الدم والريح ريح المسك.

كسوة العباد في يوم الحشر:

قلنا إن الله يحشر العباد حفاة عراة غرلًا ثم يكسى العباد فالصالحون يكسون الثياب الكريمة والمعذبون والكافرون يسربلون بسرابيل من القطران ودروع الجرب ونحوها من الملابس المنكرة.

وأول من يكسى من عباد الله نبي الله إبراهيم ففي صحيح البخاري عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**إن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل**».

وجاء في الحديث عن جابر ﷺ قال: «إن المؤذنين والملبين يخرجون يوم القيامة يؤذن المؤذن ويلبي الملبي وأول من يكسى من حلل الجنة إبراهيم ثم محمد ثم النبيون ثم المؤذنون».

أرض المحشر:

الأرض التي يحشر العباد عليها يوم القيامة أرض أخرى غير هذه الأرض قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ (1) وقد حدثنا الرسول ﷺ عن صفة هذه الأرض الجديدة التي يكون عليها الحشر ففي صحيح البخاري ومسلم عن سهل بن سعد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي**» قال سهل أو غيره: «**ليس فيها مَعْلَم لأحد**».

قال الخطابي: العفر: بياض ليس بناصع، والنقي: أي الدقيق النقي من الغش والنخال، والمَعْلم: العلامة التي يُهتدى بها إلى الطريق كالجبل والصخرة أو ما يضعه الناس دالًا على الطرقات.

يقف الناس على أرض المحشر في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة يخففه الله على من يشاء حتى يصل إلى مقدار ركعتين يركعهما المسلم في الدنيا كما في الحديث: «والذي نفسي بيده إنه ليخف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا» (2)، يقفون موقفًا واحدًا صفًا واحدًا لا ينظر إليهم مقدار سبعين عامًا ولا يقضي بينهم فيبكون حتى ينقطع عنهم الدمع ثم يبكون دمًا، ويعرقون حتى يبلغ ذلك منهم مبلغًا، وذلك كما في الحديث «إذا كان

---

(1) سورة إبراهيم آية: ٤٨.

(2) رواه أحمد في مسنده.

يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين» قال سليم: لا أدري أي الميلين؟ أمسافة الأرض؟ أم الميل الذي تكحل به العين؟ قال: فتغمرهم الشمس فيكونون في العرق بقدر أعمالهم، فمنهم من يأخذه العرق إلى عقبيه، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا، قال: فرأيت رسول الله ﷺ يشير بيده إلى فيه، قال: «يلجمه إلجامًا»(١).

عقبيه: كعبيه، حقويه: الحقو أي الخصر، يلجمه العرق إلجامًا: يصل العرق إلى فمه فيمنعه من الكلام كاللجام، فيه: فمه.

هذا- وفي تلك الأثناء العصيبة نرى أناسًا منعمين مستظلين بظل الله يوم القيامة كما في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وفي رواية: إلا ظل عرشه: إمام عادل، وشاب نشأ في طاعة الله ﷻ، ورجل قلبه معلق بالمساجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، واثنان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا على ذلك، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»(٢).

معنى دعته: أي دعته إلى الزنا بها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه: مَثَل للمبالغة في إخفاء الصدقة.

---

(١) رواه مسلم والترمذي.

(٢) رواه البخاري.

في هذا الوقت العصيب يسمع الناس هذا النداء- كما جاء في الحديث: «ينادي الله ﷻ على آدم فيقول: يا آدم، ابعث بعث النار، قال: يا رب، وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة، قال: فأبلس الصحابة، ما ترى لأحدهم سن ضاحكة، فلما رأى ذلك قال: اعلموا وأبشروا، فوالذي نفس محمد بيده إنكم لمع خليقتين، ما كانتا في شيء قط إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج ومن هلك من بني آدم ومن بني إبليس، قال: فسري عنهم، ثم قال: اعلموا وأبشروا، فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير، والرقمة في ذراع الدابة»[1].

خليقتين: أي مخلوقين، الرقمة: هَنَةٌ بارزة في ذراع البعير من داخل تشبه الظفر.

ومع هذا كله نرى جهنم وقد برزت وزمجرت وتغيظت وزفرت وأرسلت بشررها كأنه القَصْر في الضخامة والجِمَال الصُفْر في التتابع، وخرج منها عنق له ثلاثة رءوس تقول: وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبمن أشرك مع الله إلهًا آخر، وبمن لم يؤمن بيوم الحساب.

كما قال تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٱنطَلِقُوٓاْ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ﴿٣٣﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾﴾[2]

---

(١) رواه الترمذي والنسائي بسند صحيح.

(٢) سورة المرسلات آية: ٢٩-٣٤.

فهناك تجثو الأمم على الرُّكَب، كما قال تعالى:

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾(١)

ويشيب الولدان، كما قال ﷻ:

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾(٢)

ولما يطول موقفهم، ويعظم كربهم، يقول بعضهم لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تستشفعون إلى ربكم، فيبحثون عن الشفعاء. فيأتون آدم عليه السلام ونوحًا عليه السلام وموسى عليه السلام وعيسى عليه السلام فيعتذرون ويقولون: نفسي نفسي، إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قَبْلُ مثله ولن يغضب بَعْدُ مثله حتى ينتهوا إلى خاتم الأنبياء وإمام المرسلين محمد ﷺ الذي يقول: أنا لها، أنا لها، فيأتي ربه فيخر ساجدًا تحت العرش ، ويلهمه ربه تعالى محامد يحمده بها، فلا يزال كذلك حتى يقول له الله تعالى: يا محمد: ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع، فيرفع رأسه، ويسأل ربه تعالى الشفاعة العظمى، والمقام المحمود ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾(٣)

فتكون الشفاعة العظمى بفصل القضاء أولًا.

---

(١) سورة الجاثية آية: ٢٨.

(٢) سورة المزمل آية: ١٧.

(٣) سورة الإسراء آية: ٧٩.

وهو المقام الذي يقومه رسول الله ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم.

ثم تكون شفاعته ﷺ لأمته، وهو يقول: يا رب أمتي، فيقال له: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب حتى يقال له: أخرج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان (١).

ويجري بعد ذلك القضاء مجراه.

فبعد أن يسأل محمد ﷺ ربه الشفاعة، يقول: يا رب وعدتني الشفاعة، فشفعني في خلقك فاقضِ بينهم، فيقول: شفعتك، أنا آتيكم فأقضي بينكم.

وقد جاء في الخبر: أن النبي ﷺ بعد ذلك يعود فيقف مع الناس ينتظرون فصل القضاء فإذا بالناس يسمعون حسًا شديدًا من السماء، فإذا هم ملائكة السماء الدنيا وعددهم مثل من في الأرض من الجن والإنس حتى إذا اقتربوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم، وأخذوا صفوفهم وسألهم الناس: أفيكم ربنا؟ قالوا: لا وهو آتٍ، ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف حتى ينزل الجبار تبارك وتعالى في ظلل من الغمام والملائكة، ويحمل عرش ربك يومئذ ثمانية، ولهم زجل من تسبيحهم يقولون: سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الذي يميت

(١) رواه البخاري ومسلم.

الخلائق ولا يموت، وذلك قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۢ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣﴾ (١)

وقوله سبحانه: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠﴾ (٢)

وقال: ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٩ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٧٠﴾ (٣)

كما قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ٢٥ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ٢٦﴾ (٤)

ثم يضع الله ﷻ كرسيه حيث شاء من أرضه وهو كرسي فصل القضاء، ثم يهتف بصوته فيقول: «يا معشر الجن والإنس، إني قد أنصت لكم من يوم خلقتكم إلى يومكم هذا، أسمع قولكم، وأرى أعمالكم، فأنصتوا إليَّ، فإنما هي أعمالكم وصحفكم، تقرأ عليكم فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» بمعناه في مسلم.

---

(١) سورة الفجر آية: ٢١.

(٢) سورة البقرة آية: ٢١٠.

(٣) سورة الزمر آية: ٦٩-٧٠.

(٤) سورة الفرقان آية: ٢٥-٢٦.

ثم يبدأ ربنا فصل القضاء بين خلقه إلا الثقلين- الإنس والجن- فيقضي بين الوحوش والبهائم حتى إنه ليقتص للجماء من القرناء، فإذا فرغ الله من ذلك قال الله لها: كوني ترابًا، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت ترابًا، وذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾[1].

ثم يقضي الله بين العباد، فيكون أول ما يقضي فيه الدماء ، فيأتي كل قتيل في سبيل الله، ويأمر الله من قتل فيحمل رأسه تنزف عروقه، فيقول: يا رب فيم قتلني هذا؟ فيقول الله تعالى- وهو أعلم- فيم قتلته؟ فيقول: قتلته يا رب لتكون العزة لك، فيقول الله: صدقت، فيجعل الله وجهه مثل نور السموات، ثم تسبقه الملائكة إلى الجنة، ثم يأتي كل من كان يقتل على غير ذلك، ويأمر من قتل فيحمل رأسه تنزف عروقه، فيقول: يا رب فيم قتلني هذا؟ فيقول الله- وهو أعلم- فيم قتلته؟ فيقول: يا رب قتلته لتكون العزة لي فيقول الله: تعست، ثم ما تبقى نفس قتلها قاتل إلا قتل بها، ولا مظلمة إلا أخذ بها، وكان في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء رحمه، ثم يقضي الله بين من بقي من خلقه حتى لا تبقى مظلمة لأحد عند أحد إلا أخذها الله للمظلوم من الظالم حتى إنه ليكلف من خلط اللبن بالماء

(١) سورة النبأ آية: ٣٨-٤٠.

أن يخلص اللبن من الماء ﴿ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ﴾ [1] فإذا فرغ الله من ذلك نادى منادٍ يسمع الخلائق كلهم فقال: ليلحق كل قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله، فلا يبقى أحد عبد من دون الله شيئًا إلا مثلت له الهيئة بين يديه، فيجعل يومئذ ملك من الملائكة على صورة عُزَيْر(من أنبياء بني إسرائيل) ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى، فيتبع هذا اليهود ويتبع هذا النصارى، ثم قادتهم آلهتهم إلى النار.

وذلك قوله الله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [2]

فَيُساق هؤلاء إلى النار، وهم يتقدمهم آلهتهم وأئمتهم مثل فرعون.

﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ ﴾ [3]

وقال البعض: قد يكون هؤلاء هم الذين لا يحاسبون ولا يُسألون ولا يقام لهم وزن، كما قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [4].

---

(١) سورة غافر آية: ١٧.

(٢) سورة الأنبياء آية: ٩٨-١٠٠.

(٣) سورة هود آية: ٩٨.

(٤) سورة الكهف آية: ١٠٥-١٠٦.

* ثم يبقى خلق كثير هم المؤمنون وفيهم المنافقون والعصاة والمرتدون ونحوهم فيقال: يا أيها الناس ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون فيقولون: والله ما لنا إلا الله ما كنا نعبد غيره، فينصرف عنهم الله، فيمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم يأتيهم فيقول: يا أيها الناس: ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون، فيقولون: والله ما لنا إلا الله، وما كنا نعبد غيره، فيكشف عن ساقه ويظهر لهم من عظمته ما يعرفون به أنه ربهم، فيخرون سُجَّدًا على وجوههم، ويخر كل منافق على قفاه، ويجعل الله أصلابهم كصياصي البقر (قرون البقر)، ثم يأذن الله لهم فيرفعون رءوسهم.

وذلك قوله الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[1].

* ثم يفصل الله ﷻ بين المؤمنين- الذين صار لهم نور عظيم- وبين المنافقين، الذين ليس لهم من الضياء إلا كالشمعة الخافتة على إبهام أحدهم، فإذا بهم ينادون أهل الإيمان أصحاب النور، ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾[2].

(١) سورة القلم آية: ٤٢-٤٣.

(٢) سورة الحديد آية: ١٢.

بماذا ينادونهم؟

﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾[1].

* * *

(١) سورة الحديد آية: ١٣-١٥.

العرض والحساب

نؤمن أن الجزاء يكون بعد محاكمة عادلة يعرض فيها الناس على ربهم، وتقام فيها الحجج عليهم ولهم، ويطلعون على أعمالهم، ويقرءون صحفهم فيجب أن نؤمن بالعرض والحساب، وقراءة الكتاب، فجميعها حق، ودل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع علماء المسلمين.

فأما العرض فدليله قوله تعالى: ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[1].

فيجب على كل مسلم أن يؤمن بأن كل عبد يعرض على ربه فيتولى سبحانه حسابه بنفسه وبدون وساطة؛ ففي الحديث عن النبي ﷺ قال: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أَيْمَنَ منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله وينظر أَشْأَمَ منه (على يساره) فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة»[2].

ويدخل في معنى العرض إبراز الأعمال وإظهارها فيعرف صاحبها بذنوبه، فإن كان من أهل النجاة وهو الذي يؤتى كتابه بيمينه تجاوز الله عن ذنوبه ولم يناقشه الحساب وأدخله الجنة ولم يعذبه بالنار، وأما من كثرت معاصيه وأوتي

---

(١) سورة الكهف آية: ٤٨.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

كتابه وراء ظهره فذلك يناقش الحساب ويُسأل عن كل صغير وكبيرة؛ فقد حدثت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك، فقلت: يا رسول الله: أليس قد قال الله: فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا؟ فقال رسول الله ﷺ: إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عُذِّب» صحيح البخاري، والمراد بالمناقشة الاستقصاء في المحاسبة، والمطالبة بالعظيم والحقير وترك المسامحة.

وأما أخذ العباد صحائف أعمالهم يوم القيامة وقراءتهم لها فحق يجب الإيمان به ومن أنكره كفر؛ قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝﴾[2]

والمراد بهذه الصحف التي يقرؤها العباد الكتب التي كتبت فيها الملائكة ما فعلوه في الحياة الدنيا.

وأما الحساب فالمراد به توقيف الله تعالى العباد قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم وأقوالهم واعتقاداتهم خيرًا كانت أو شرًّا، وذلك بعد أخذهم صحائفهم

(١) سورة الإسراء آية: ١٣-١٤.

(٢) سورة الانشقاق آية: ٦-١٢.

فيُعَرَّفُون على أعمالهم وما لهم وما عليهم قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[1].

ثم إن الناس في الحساب على مراتب:

فمنهم من يحاسب حسابًا يسيرًا يعرض عليه عمله، فيطلعه الله على سيئاته بحيث لا يطلع عليها أحد ثم يعفو عنه ويأمر به إلى الجنة.

ومنهم من يناقش الحساب بأن يسأل عن كل جزئية ويطالب بالعذر والحجة فلا يقبل منه عذر ولا حجة، فيهلك مع الهالكين، ويأمر الله تعالى مناديًا ينادي عليه بسيئات أعماله، فيفتضح بين الخلائق.

وقد دلت الأحاديث الصحيحة على أن قومًا من أمة محمد ﷺ يتفضل عليهم ربهم ويستثنيهم من هذا الحساب ويدخلهم الجنة من غير حساب ولا عذاب، فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفًا بغير حساب» صحيح مسلم.

وأما كيفية الحساب فنؤمن بما ورد في القرآن عنها، وفي حديث رسول الله ﷺ، ولا نزيد ولا ننقص، ولا نسأل عن أكثر مما ورد: فنؤمن أن الله سبحانه يُذَكِّر كل عبد بما قدمه في الحياة الدنيا من خير أو شر، ويشهد على العباد جميع من يستشهدهم الله عليهم فتشهد الأرض بما حدث على ظهرها، كما قال ﷻ: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا

---

(١) سورة الأنعام آية: ١٠٨.

يَوۡمَئِذٖ ﴿٤﴾ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٦﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾(1). فقد ورد عن أبي هريرة ﷺ ﴿ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ﴿٤﴾ ﴾ فقال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن أخبارها أن تشهد على عبد أو أَمَة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عَمِل كذا وكذا يوم كذا وكذا، قال فهذه أخبارها»(2)، وقال: حسن غريب.

ونؤمن أيضًا بأنه يكون في هذا الحساب شهادة الأعضاء: من ألسنة وأيدٍ وأرجل وجلود وغيرها على كل ما فعله العبد، وبها أخبر الله تعالى من تحاور أعداء الله مع هذه الشهود، قال ﷻ: ﴿ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ وَمَا ﴿٢١﴾ كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾(3)

---

(1) سورة الزلزلة آية: ١-٨.

(2) رواه الترمذي.

(3) سورة فصلت آية: ١٩-٢٢.

وعن أنس بن مالك قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال:«هل تدرون مِمَّ أضحك؟» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «من مخاطبة العبد ربَّه، يقول: يا ربِّ، ألم تُجِرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدًا مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا وبالكرام الكاتبين شهودًا، قال: فيختم على فيه، فيقال لأركانه: انطقي. قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يُخلَّى بينه وبين الكلام، قال: فيقول: بُعْدًا لَكُنَّ وسُحْقًا فعنكُنَّ كنت أناضل»[1].

فيه: أي فمه، لأركانه: لجوارحه وأعضائه، أناضل: أدافع وأجادل.

القواعد التي يحاسب العباد على أساسها

١ـ العدل التام المطلق

يوفِّي الله عباده في يوم الحساب أجورهم كاملة ويوفي العبد عمله ولا يضيع منه شيئًا ولا ينقصه مقدار الذرة ولا مقدار الفتيل ولا النقير.

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ** ﴾ [2] وقال: ﴿ **فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨** ﴾ [3] يقول: ﴿ **وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ۝٧٧** ﴾ [4] والفتيل هو الخيط الذي يكون في شق النواة.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) سورة النساء آية: ٤٠.

(٣) سورة الزلزلة آية: ٧-٨.

(٤) سورة النساء آية: ٧٧.

ويقول: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾[1].

والنقير: النقرة الصغيرة التي تكون في ظهر النواة.

٢ـ لا يؤاخذ أحد بذنب غيره.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[2] وهذا منتهى العدل.

فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[3] أي لا تحمل نفس ثقل نفس أخرى ولا تؤخذ نفس بذنب غيرها بل كل نفس مأخوذة بذنبها ومعاقبة بفعلها، ولكن ورد ما يدل ظاهره على عكس ذلك وهو قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾[4] وليست هذه الآية مناقضة للآية السابقة فإنها تدل على أن الإنسان يتحمل إثم ما ارتكب من الذنوب وإثم الذين أضلهم بقوله وفعله كما أن من دعا إلى الهدى ينال أجره ومثل أجر من اهتدى بهديه فكذلك إضلال العبد لغيره هو فعل له يعاقب عليه.

---

(١) سورة النساء آية: ١٢٤.

(٢) سورة الأنعام آية: ١٦٤.

(٣) سورة الأنعام آية: ١٦٤.

(٤) سورة العنكبوت آية: ١٣.

٣ـ إطلاع الله للعباد على أعمالهم

من عدل الله مع عباده أنه يطلعهم على ما قدموه من أعمالهم الصالحة والفاسدة لكي يحكموا على أنفسهم فيعلموا أن الله لم يظلمهم.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾[1].

وقال: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾[2].

وإطلاع العباد على ما قدموه من الأعمال يكون بإعطائهم صحائف أعمالهم وقراءتهم لها.

٤ـ مضاعفة الحسنات دون السيئات:

ومن رحمة الله أنه يضاعف أجر الأعمال الصالحة: ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [3] وأقل ما تضاعف به الحسنة عشرة أضعاف أما السيئة فلا تجزى إلا مثلها قال تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ [4] وهذا ليس عدلًا فقط بل ذلك من فضل الله وكرمه، وقد روى أحمد والحاكم عن أبي ذر قال: حدثنا الصادق

(١) سورة آل عمران آية: ٣٠.

(٢) سورة الكهف آية: ٤٩.

(٣) سورة التغابن آية: ١٧.

(٤) سورة الأنعام آية: ١٦٠.

المصدوق فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: «**الحسنة بعشر أمثالها أو أزيد والسيئة واحدة أو أغفرها ولو لقيتني بقُراب الأرض (أي ملء الأرض)خطايا ما لم تشرك بي لقيتك بقُرابها مغفرة**».

وقد تصل مضاعفة الحسنة إلى سبعمائة ضعف وأكثر من ذلك، ومن ذلك أجر المنفق في سبيل الله؛ قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾[1] فهذا فضل من الله لمن أنفق في سبيل الله وطلب رضائه.

٥ـ إقامة الشهود على الكفار والمنافقين:

أعظم الشهداء في يوم الحساب على العباد هو ربهم وخالقهم قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ﴾[2].

ولكن الله يبعث من مخلوقاته شهداء على المكذبين والمنافقين حتى لا يكون لهم عذر، وقد أشارت آيات قرآنية إلى الشهداء الذين يشهدون على العباد كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة آية: ٢٦١.

(٢) سورة النساء آية: ٣٣.

(٣) سورة غافر آية: ٥١.

وأول من يشهد على الأمم رسلها فيشهد كل رسول على أمته بالبلاغ، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾[1].

وقوله: ﴿شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾[2] هم الرسل لأن كل أمة رسولها منها.

وكما يشهد كل رسول على أمته بالبلاغ يشهدون عليهم بالتكذيب قال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ۝ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ۝﴾[3].

ثم إن الأمم تكذب رسلها وتقول كل أمة: ما جاءنا من رسول فتأتي أمة محمد وتشهد للرسل بالبلاغ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾[4] ومن الأشهاد الأرض والأيام والليالي ويشهد المال على صاحبه ويشهد على العبد أيضًا الملائكة الذين كانوا يسجلون عليه أعماله.

---

(١) سورة النحل آية: ٨٩.

(٢) سورة النحل آية: ٨٩.

(٣) سورة الأعراف آية: ٦.

(٤) سورة البقرة آية: ١٤٣.

الميزان

بعد أن يطَّلع كل إنسان على صحائف أعماله بما فيها من حسنات وسيئات يبدأ وزن الأعمال ليعرف العبد مصيره فالحساب لتقرير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء على قدرها.

وقد ورد وزن الأعمال في الكتاب والسنة وأجمعت عليه الأمة فوجب الإيمان به قال تعالى:

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[1].

﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[2].

والمراد بالموازين: الموزونات فجمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة ويمكن أن تكون هناك موازين متعددة بحسب نوع الأعمال.

والميزان له كفتان عظيمتان مشاهدتان.

واختلف العلماء هل الموزون هو نفس الأعمال أو صحف الأعمال؟ أو العامل نفسه؟

---

(١) سورة الأنبياء آية: ٤٧.

(٢) سورة المؤمنون آية: ١٠٢-١٠٣.

وقد ورد قوله ﷺ «كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم».

وورد أيضًا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «وإنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال: اقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ۝١٠٥﴾».

والخلاف هنا لا يضر طالما كان الإيمان ثابتًا بأصل الميزان، وأما قوله تعالى في حق الكافرين: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ۝١٠٥﴾[1] فليس معناه ترك الميزان وإنما المراد ليس لهم وزن نافع يثابون عليه، والذي يجب اعتقاده أن في الآخرة وزنًا وميزانًا لأن هذا معلوم من الدين بالكتاب والنسبة ويكفر الشخص بإنكاره.

ولا يكون وزن في حق الأنبياء والملائكة ومن استثناهم الله من الحساب.

* * *

(١) سورة الكهف آية: ١٠٥.

الصراط

بعدما ينتهي وزن الأعمال والحساب ويعرف كل واحد نتيجة عمله ينصرف الناس من الموقف ليمروا على الصراط الذي يوصلهم إلى نهايتهم.

والصراط جسر ممدود على ظهر جهنم تمر عليه جميع الخلائق الأنبياء والصديقين والمؤمنين والكفار ومن يحاسب ومن لا يحاسب ما عدا طائفة من الكفار يُعَجَّل بإلقائهم في جهنم من الموقف وهم الذين أظهروا عبادة شيء سوى الله.

واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى: ﴿ **وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا** ﴿٧١﴾ ﴾[1].

وأرجح الأقوال أنه المرور على الصراط.

وقد ورد في صفة الصراط ما رواه مسلم في حديث طويل جاء فيه قوله ﷺ: «ثم يُضرب الجسر على جهنم وتَحِل الشفاعة ويقولون: اللهم سَلِّم سَلِّم قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: دَحْضٌ مَزَلَّةٌ فيه خطاطيف وكلاليب وحَسَك تكون بنجد فيها شُوَيْكَة يقال لها السَّعْدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب: فناجٍ مُسَلَّم ومخدوش مُرْسَل ومكدوس في نار جهنم».

الدحض والمزلة بمعنى واحد وهو الموضع الذي تَزِلُّ فيه الأقدام ولا تستقر.

---

(١) سورة مريم آية: ٧١.

وأما الخطاطيف فجمع خُطَّاف والكلاليب جمع كَلُّوب وهي حديدة معطوفة الرأس يعلق فيها اللحم.

وأما الحَسَك فهو شوك صلب، وأجاويد الخيل: أجاويد جمع أجواد وهو جمع جواد وهو الجيد الجري، والركاب: الإبل .

وقوله (فناجٍ مُسَلَّم ومخدوش مُرْسَل ومكدوس في نار جهنم) أي أنهم ثلاثة أقسام: قسم يسلم فلا يناله شيء أصلًا وقسم يُخدش ثم يُرسل فيخلص وقسم يُكردس أي يُدفع من الخلف فيسقط في جهنم.

وروي أيضًا عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: «بلغني أن الجسر أدق من الشعر وأحدُّ من السيف». ويمر المؤمنون على الصراط ونورهم يسعى بين أيديهم، لا يخافون، ولا يتعثرون؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾[1] وروى البيهقي بسنده عن مسروق عن عبدالله قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة» إلى أن قال: «فَيُعْطَون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يُعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يُعطى نوره دون ذلك، ومنهم من يُعطى نوره مثل النَّخلة بيمينه، ومنهم من يُعطى دون ذلك حتى يكون آخر ذلك من يُعطى نوره على إبهام قدمه يُضيء مرة ويَطْفأ مرة فإذا أضاء قدَّم قدمه وإذا طَفِئ قام، ويمرُّون على الصراط كحد السيف، دَحْضٌ مَزَلة

(١) سورة الحديد آية: ١٢.

فيقال لهم: امضوا على قدر نوركم، فمنهم من يمرٌّ كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمرٌّ كالطرف، ومنهم من يمرٌّ كالريح، ومنهم من يمر كشدِّ الرجل يرمل رملًا، فيمرُّون على قدر أعمالهم حتى يمرَّ الذي نوره على إبهام قدمه تخرُّ يد وتعلق يد وتخرُّ رِجل وتعلق رجل وتصيب جوانبَه النار فيخلصون، فإذا خلصوا قالوا: الحمد لله الذي نجَّانا منكِ بعد أن أراناكِ، لقد أعطانا الله ما لم يُعْطِ أحدًا».

القنطرة:

بعد أن يجتاز المؤمنون الصراط بسلام يوقفون على تلك القنطرة بين الجنة والنار لتهذيبهم وتطهيرهم من كل ما كان بينهم من عداوات ومخاصمات أو حقوق لبعضهم على بعض ثم يؤذن لهم بدخول الجنة بعد ذلك وقد طهرت نفوسهم.

ثبت في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إذا خلص المؤمنون من الصراط حُبِسوا على قنطرة بين الجنة والنار فاقْتُص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هُذِّبُوا ونُقُّوا أُذِن بدخول الجنة فَلَأَحدهم أهدى إلى منزله في الجنة من منزله الذي كان في الدنيا».

الحوض

يجب علينا أن نؤمن بما أخبر به الرسول ﷺ عن الحوض الذي تفضل الله به عليه وعلى أمته فإن الأحاديث الواردة فيه رواها من الصحابة أكثر من ثلاثين صحابيًا.

ويكون أول من يَرِدُه نبينا محمد ﷺ ثم تَرِدُه بعده أمته ويطرد عنه الكفار وطائفة من العصاة وأهل الكبائر (الذنوب العظيمة) وذلك بعد الانتهاء من الموقف بما فيه من أهوال وعرض وحساب وقراءة الصحف وغيرها.

قال رسول الله ﷺ: أنا فَرَطُكُم على الحوض «أي أنا متقدمكم وسابقكم إلى الحوض» من ورد شرب ومن شرب لم يظمأ أبدًا وليردَنَّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يُحال بيني وبينهم فيقول ﷺ: إنهم أمتي فيُقال: إنك لا تدري ما عملوا بعدك فأقول: سُحْقًا سُحْقًا (بُعْدًا بُعْدًا) لمن بَدَّل بعدي».

ومن الأحاديث الواردة في صفة الحوض ما أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال: قال النبي ﷺ: حوضي مسيرة شهر «كل زاوية من زواياه مسيرة شهر» ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه (أي آنيته وأباريقه) كنجوم السماء من شرب منها فلا يظمأ أبدًا».

هذا وقد ورد في بعض الأحاديث الصحيحة أن لكل نبي حوضًا وأن حوض نبينا ﷺ أعظمها وأحلاها وأكثرها واردًا.

الشفاعة

واجب سمعًا عند أهل الحق شفاعة الذي تُقبل شفاعته، والشفاعة- لغة- الوسيلة والطلب، وعرفًا: سؤال الخير من الغير للغير، وشفاعة الله تعالى عبارة عن عفوه فإنه تعالى يشفع فيمن قال: (لا إله إلا الله) مثبتًا رسالة الرسول الذي أرسل إليه ولم يعمل خيرًا قط فيتفضل الله تعالى عليه بعدم دخول النار بلا شفاعة أحد.

والشفاعة خاصة بأهل الإخلاص فهم الذين يشفعون وهم كذلك المشفوع لهم وإن كانوا وقعوا في شيء من المعاصي؛ عن أبي هريرة قال للنبي صلى الله عليه وسلم: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه»[1].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لكل نبي دعوة مستجابة وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا»[2].

وروى البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال: «كنا مع النبي ﷺ في دعوة، فرفع إليه الذراع- وكانت تعجبه- فنهس منها نهسة (النهس: أخذ اللحم بمقدم الأسنان) وقال: «أنا سيد الناس يوم القيامة، هل تدرون مم ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيبصرهم الناظر، ويسمعهم الداعي،

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

وتدنو منهم الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه، إلى ما بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم، فيأتونه، فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فقال: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحًا، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبدًا شكورًا، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا عند ربك؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنَّه قد كان لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، أما ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني كنت كذبت ثلاث كذبات... فذكرها- نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى فيقولون: أنت رسول الله، فضلك برسالاته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، أما ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب

اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفسًا لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى.

فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروحٌ منه، وكلمت الناس في المهد، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبًا، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمدًا ﷺ- وفي رواية: فيأتوني- فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق، فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد، ارْفَعْ رَأْسَك، وَسَلْ تُعْطَه، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقال: يا محمد، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهَجَر- أو كما بين مكة وبُصرى- وفي كتاب البخاري: كما بين مكة وحِمْيَر.

المصراعين: مصراع الباب أحد جزأيه وهما مصراعين أحدهما إلى اليمين والآخر إلى اليسار .

روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ- آدم فمن سواه- إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، فقال: فيفزع الناس ثلاث فزعات، فيأتون آدم فيقولون: أنت أبونا آدم، فاشفع لنا إلى ربك، فيقول: إني أذنبت ذنبًا فَأُهْبِطْتُ به إلى الأرض، ولكن ائتوا نوحًا، فيأتون نوحًا، فيقول: إني دعوت على أهل الأرض دعوة فأُهلكوا ولكن اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم، فيقول: إني كذبت ثلاث كذبات، ثم قال رسول الله ﷺ: ما منها كذبة إلا مَا حَلَ بها عن دين الله، ولكن ائتوا موسى، فيأتون موسى، فيقول: قد قتلت نفسًا، ولكن ائتوا عيسى، فيأتون عيسى، فيقول: إني عُبِدْتُ من دون الله ولكن ائتوا محمدًا ﷺ فيأتوني، فأنطلق معهم. قال ابن جدعان: قال أنس: فكأني أنظر إلى رسول الله، قال: فآخذ بحلقة باب الجنة، فأقعقعها، فيقال: من هذا؟ فيقال: محمد، فيفتحون لي ويرحبون، فيقولون: مرحبًا، فأَخِرُّ ساجدًا ، فيلهمني الله من الثناء والحمد، فيقال لي: ارفع رأسك، سل تُعْطَ، واشفع تُشَفَّع، وقُلْ يُسمَع لقولك، وهو المقام المحمود الذي قال الله تعالى: ﴿ **عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ﴿٧٩﴾ ﴾[1] قال سفيان: ليس عن أنس إلا هذه الكلمة «فآخُذُ بحلقة باب الجنة فأُقَعْقِعُها»[2].

(١) سورة الإسراء آية: ٧٩.

(٢) أخرجه الترمذي.

ومعنى مَاحَلَ بها أي دفَعَ وجَادَل.

فأقعقعها أي أحركها لتصوِّت، والقعقعة حكاية حركة الشيء يُسمع له صوت.

فقد دلت الأحاديث التي سقناها وغيرها على نوعين من أنواع الشفاعة التي تقع في ذلك اليوم

الأول: الشفاعة العظمى وهي المقام المحمود وهي التي يتأخر عنها أولو العزم عليهم الصلاة والسلام حتى تنتهي إليه ﷺ فيقول: «أنا لها» وذلك حين يرغب الخلائق إلى الأنبياء ليشفعوا لهم إلى ربهم حتى يريحهم من مقامهم في الموقف، وهذه الشفاعة يختص بها ﷺ لا يشركه فيها أحد.

الثاني: شفاعته في عدم دخول قومٍ النار بعد أن استحقوها وفي إخراج الموحدين من النار؛ فعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل من أهل هذه القبلة النار من لا يحصي عددهم إلا الله بما عصوا الله واجترءوا على معصيته وخالفوا طاعته فيؤذن لي في الشفاعة فأثني على الله ساجدًا كما أثني عليه قائمًا فيقال لي: ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تُشفع».

وهناك أنواع أخرى من الشفاعة جاء ذكرها في الأحاديث نعرض لها على وجه الاختصار:

الأول: شفاعة الرسول ﷺ في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة.

الثاني: شفاعته لأهل الجنة في دخولها.

الثالث: الشفاعة في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب ويمكن أن يستشهد لهذا بحديث عكاشة بن محصن حيث دعا له الرسول ﷺ أن يجعله من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، والحديث في الصحيحين.

الرابع: شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفعة درجاتهم وهذه مما لم ينازع فيها أحد وكلها مختصة بأهل الإخلاص الذين لم يتخذوا من دون الله وليًّا ولا شفيعًا كما قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [1]

الخامس: شفاعة الرسول ﷺ في تخفيف عذاب عمهِّ أبي طالب حيث يخرجه الله به إلى ضحضاح (صخرة) من نار يغطي قدميه يغلي لهما دماغه.

قال الشيخ الألباني: وهذه خصوصية للرسول ﷺ كرامة أكرمه الله تبارك وتعالى بها مع أن القاعدة في المشركين أنهم كما قال الله ﷻ: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [2] ولكن الله تعالى يختص بفضله من يشاء.

والشفاعة في أهل الذنوب ليست خاصة بالرسول ﷺ فقد يشفع النبيون والشهداء والعلماء وقد يشفع للمرء أعماله ولكن رسولنا ﷺ له النصيب الأوفر منها وقد يشفع غيره أيضًا في رفع درجات المؤمنين، وبقية الأنواع خاصة بالرسول ﷺ.

---

(١) سورة الأنعام آية: ٥١.

(٢) سورة المدثر آية: ٤٨.

وشفاعة الملائكة ثابتة بقوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [1]، وبقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ [2].

وأما شفاعة الأنبياء والعلماء والشهداء فهي ثابتة بعموم القرآن وخصوص السنة ففي القرآن الكريم يقول الله تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [3] ويقول: ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ [4] ويقول: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [5] فهذه الآيات دالة على وجود شفعاء.

وفي السنة يقول ﷺ: «**يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته**» وصح أن القرآن الكريم يشفع لأهله كذلك فقد روى أبو أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه».

كما صح أن الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام: رب منعته الطعام والشراب بالنهار ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فيشفعان».

---

(١) سورة النجم آية: ٢٦.

(٢) سورة الأنبياء آية: ٢٨.

(٣) سورة المدثر آية: ٤٨.

(٤) سورة مريم آية: ٨٧.

(٥) سورة البقرة آية: ٢٥٥.

الجنة والنار

الإيمان بالجنة والنار:

من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة والنار وأنهما حق لا شك فيه وأن الله قد أعد الجنة للمتقين وأعد النار للهالكين فالجنة دار أولياء الله والنار دار أعداء الله.

وقد أخبر الله عنهما بأسلوب الماضي «أُعدت» فلابد من اعتقاد وجودهما الآن كما يجب الإيمان بدوامهما وبقائهما بإبقاء الله لهما وأنهما لا تفنيان أبدًا ولا يفنى من فيهما فكل من دخلهما قال عنه الله «خالدين فيها أبدًا» ولكن هذا لا ينطبق على عصاة المؤمنين الذين يدخلون النار بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها برحمة الله تعالى ثم بشفاعة الشافعين. ونؤمن أن نعيم الجنة وعذاب النار يكون بالروح والجسد معًا.

الجنة والنار مخلوقتان:

النار التي هي دار العذاب ثابتة بالكتاب والسنة واتفاق علماء الأمة، أوجدها الله تعالى فيما مضى كالجنة التي هي دار الثواب، فالنار حق كالجنة، وهما موجودتان الآن لا كما زعمه بعض المعتزلة من أنهما توجدان يوم القيامة، والدليل قصة آدم وحواء على ما جاء به القرآن الكريم والسنة الشريفة وانعقد عليه الإجماع قبل ظهور المخالف، قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾[1] وقال: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[2]

---

(١) سورة البقرة آية: ٣٥.

(٢) سورة آل عمران آية: ١٣٣.

وقال: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1]

وعن أنس ﷺ قال رسول الله ﷺ لجبريل: (مالي لم أرَ ميكائيلَ ضاحكًا قط؟ فقال: ما ضَحِكَ منذُ خُلِقَتِ النّارُ)[2].

وعن أبي هريرة أن رسول الله قال:« اشْتَكَتِ النارُ إلى ربِّها فقالت: ربِّ أَكَلَ بعضي بعضًا فَنَفِّسْني فَجَعَلَ لها في كل عام نفسين في الشتاء والصيف، فشدة البرد الذي تجدونه من زمهريرها، وشدة الحر الذي تجدونه من حر جهنم» إسناده صحيح على شرط الشيخين، أخرجه أحمد والبخاري.

وعن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «نظرت إلى الجنة فإذا أكثر أهلها المساكين، ونظرت في النار فإذا أكثر أهلها النساء، وإذا أهل الجَد محبوسون، وإذا الكفار قد أُمر بهم إلى النار»[3]، وأهل الجد هم أصحاب الحظ في الدنيا والوجاهة والغنى والمراد أنهم محبوسون للحساب حيث يسبقهم الفقراء إلى الجنة بخمسمائة عام.

وعن أبي هريرة قال: بينا نحن عند النبي إذ قال: بينا أنا نائمٌ رأيتُني في الجنّة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن

---

(١) سورة البقرة آية: ٢٤.

(٢) رواه الإمام أحمد.

(٣) أخرجه مسلم.

الخطاب، فذكرت غَيْرَتَه، فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا، فبكى عمرُ وقال: (أعليك أغار يا رسول الله)[1].

وقال أبو حاتم: اطلاعه ﷺ إلى الجنة والنار معًا كان بجسمه، ونظره العيان تفضلًا من الله وفرقًا فرّق به بينه وبين سائر الأنبياء، أما الأوصاف التي وصف أنه رأى أهل الجنة بها وأهل النار بها فهي أوصاف صورت له ليعلم بها أسباب ما يفضي إلى الدارين ليرغب أمته بأخبار تلك الأوصاف لأهل الجنة ويرهبهم بأوصاف أهل النار ليرتدعوا.

وعن أبي هريرة قال رسول الله: «لما خلق الله الجنة قال: يا جبريل، اذهب فانظر إليها فذهب فنظر فقال: يا ربِّ وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فَحَفَّهَا بالمكاره ثم قال: اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها فقال: يا رب لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، فلما خلق الله النار قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها فقال: يا رب وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فحفها بالشهوات ثم قال: اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها فقال يا رب وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها»[2]. ومعنى حفَّها بالمكاره أي جعل دخولها متوقفًا على تحمل مشقة الطاعات ومعنى حفها بالشهوات جعل دخولها بسبب اتباع الشهوات.

(١) أخرجه البخاري.

(٢) إسناده حسن أخرجه أبو داود والترمذي.

خلود كل من الجنة والنار:

الجنة والنار دارا بقاء مؤبد، وقد كفر القائلون بفنائها وفناء أهلها لمخالفتهم الكتاب والسنة فالجنة دار خلود للسعيد منعم فيها وهو من مات على الإسلام والنار دار خلود للشقي معذب فيها وهو من مات على الكفر، أما عصاة المؤمنين فدار خلودهم الجنة إذ إنهم لا يلبثون في النار- إن دخلوها- إلا مدة، لا يدوم فيها عذابهم إذ إنه يلقى عليهم الموت بعد الدخول بمدة ما يعلم إلا الله مقدارها فلا يـَحْيَون حتى يخرجوا منها، والمراد بموتهم فقدان الإحساس بألم العذاب فحسب، وإن اختار بعض العلماء الموت الحقيقي.

عن أبي سعيد قال: قال رسول ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم- أو قال بخطاياهم- فأماتهم إماتةً حتى إذا كانوا فحمًا أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر، فَبُثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل، فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺقد كان بالبادية»[1].

ضبائر: هو جمع ضَبارة، وقال أهل اللغة: الضبائر جماعات في تفرقة، فَبُثوا معناه: فُرِّقوا.

يقول العلماء: والظاهر والله أعلم من معنى هذا الحديث أن الكفار الذين هم أهل النار والمستحقون للخلود لا يموتون فيها ولا يحيون حياة ينتفعون بها ويستريحون معها كما قال الله تعالى: ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾

---

(١) أخرجه الإمام مسلم.

[1] وكما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ [2] وأما قوله ﷺ «ولكن ناس أصابتهم النار ...»إلخ. فمعناه أن المذنبين من المؤمنين يميتهم الله تعالى إماتة بعد أن يعذبوا المدة التي أرادها الله تعالى وهذه الإماتة إماتة حقيقية يذهب معها الإحساس ويكون عذابهم على قدر ذنوبهم ثم يميتهم ثم يكونون محبوسين في النار إحساس المدة التي قدرها الله تعالى ثم يخرجون من النار موتى قد صاروا فحمًا فيحملون ضبائر كما تحمل الأمتعة ويلقون على أنهار الجنة فيصب عليهم ماء الحياة فيحيون وينبتون نبات الحبة في حميل السيل في سرعة أحوالهم فهذا هو الظاهر من لفظ الحديث ومعناه.

وأولاد المشركين في الجنة على الصحيح، ولا فرق في السعادة والشقاوة بين إنسي وجني كما أن الخلود لازم للسعيد والشقي كما نصت الآيات ودلت عليه الأحاديث، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [3] وقال: ﴿ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [4] وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا

---

(١) سورة فاطر آية: ٣٦.

(٢) سورة الأعلى آية: ١٣.

(٣) سورة الأحزاب آية: ٦٤.

(٤) سورة الجن آية: ٢٣.

﴿١٦٩﴾[1] فكلها ذكرت الخلود على التأبيد في حق أهل النار، ومما دل على الخلود قوله: ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾[2] وأنه ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾[3] وقوله: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾[4] و ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾[5] وقال تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[6].

أبدية الجنة والنار وأهلها

قال الإمام النووي: وقد دلت دلائل القرآن والسنة في هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره- أي أحاديث في صفة الجنة ونعيمها- أن نعيم الجنة دائم لا انقطاع له أبدًا).

وقد قال الإمام الأعظم أبو حنيفة: والجنة والنار حق وهما مخلوقتان ولا فناء لهما ولا لأهلهما لقوله تعالى في حق أهل الجنة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[7] وفي حق أهل النار ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾[8] خلقهما الله للثواب والعقاب.

---

(١) سورة النساء آية: ١٦٨.

(٢) سورة المائدة آية: ٣٧.

(٣) سورة الزخرف آية: ٧٥.

(٤) سورة البقرة آية: ١٦٧.

(٥) سورة المائدة آية: ٧٢.

(٦) سورة التوبة آية: ١٠٠.

(٧) سورة آل عمران آية: ١٣٣.

(٨) سورة البقرة آية: ٢٤.

وقال القرطبي: خلود أهل النار فيها لا إلى غاية أمد وإقامتهم فيها على الدوام بلا موت ولا حياة نافعة ولا راحة كما قال تعالى: ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ (١) وقال: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا ﴾ (٢) فمن زعم أنهم يخرجون منها وأنها تبقى خالية أو أنها تفنى وتزول فهو خارج عن مقتضى ما جاء به الرسول وأجمع عليه أهل السنة.

ومذهب أهل السنة أن المؤمن العاصي لا يخلد في النار وأن من مات مسلمًا ولم يَتُب من ذنبه فأمره مفوض إلى الله إن شاء عذبه لفترة محدودة وإن شاء عفا عنه قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ (٣) وفي الحديث الصحيح عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال وحوله جماعة من أصحابه: «بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وَفَّى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه» فبايعناه على ذلك.

---

(١) سورة فاطر آية: ٣٦.

(٢) سورة السجدة آية: ٢٠.

(٣) سورة النساء آية: ١١٦.

الجنة:

الجنة في اللغة: البستان

وفي الشرع: دار الثواب التي جعلها الله تعالى لتكون دار إقامة أبدية للمؤمنين الذين ماتوا على العقيدة الصحيحة.

ومن أسمائها في القرآن المأوى، وعدن، والفردوس، والنعيم، والمقام الأمين، ودار المقامة ودار السلام، ودار الخلد.

وللجنة ثمانية أبواب وثماني درجات قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠ ﴾[1] وقال: ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤ ﴾[2].

وأول البشر دخولًا الجنة على الإطلاق هو رسولنا محمد ﷺوأول الأمم دخولًا الجنة أمته وأول من يدخل الجنة من هذه الأمة أبو بكر الصديق ﷺ ودلت على ذلك الأحاديث.

(١) سورة ص آية: ٥٠.

(٢) سورة الرعد آية: ٢٣-٢٤.

دخول المؤمنين الجنة:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ۝﴾[1]

قال علي: «والله ما على أرجلهم يحشرون ولا يحشر الوفد على أرجلهم ولكن بنوق (جِمال) لم تر الخلائق مثلها عليها رحائل من ذهب ليركبوا عليها حتى يضربوا أبواب الجنة».

وقال ﷺ: «**ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفًا أو سبعمائة ألف- شك الراوي في إحداهما- متماسكين آخذًا بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة ووجوههم على ضوء القمر ليلة البدر**».وفي رواية «**أعطيت سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر قلوبهم على قلب رجل واحد فاستزدت ربي ﷻ فزادني مع كل واحد سبعين ألفًا**».

وروى مسلم وأحمد أنه ﷺ قال: «أول زمرة تلج (تدخل) الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون فيها ولا يتغوطون فيها وأمشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم من الألوة وريحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشية».

المجامر: جمع مِـجْمر وهو الذي يوضع فيه النار للبخور والـمُجمر الـذي يتبخـر بـه وأعد له الجمر وهو المراد في الحديث أي أن بخورهم بالألوة وهو العود سوقها: سيقانها

(١) سورة مريم آية: ٨٥.

وعن سنهم وهيئتهم يقول ﷺ: «يدخل أهل الجنة جردًا- ليس على بدنهم شعر- مردًا- لا شعر على وجوههم- بيضًا جعادًا خفافًا لينين مجتمعين مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم ستون ذراعًا في عرض سبع أذرع».

نعيم الجنة:

ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك عن أبي ذر في حديث المعراج قال: قال رسول الله ﷺ «**أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك**». والجنابذ هي القِباب.

وروى أحمد والترمذي عن أبي هريرة قال: قلت: يا رسول الله مما خلق الخلق؟ قال «من ماء» قلت: الجنة ما بناؤها؟ قال: «لبنة (طوبة) من ذهب ولبنة من فضة ومِلاطها المسك الأذفر وحصباؤها الدر والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها ينعم ولا ييأس ويخلد ولا يموت ولا يبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم».

ملاطها أي ما بين اللبنتين أو الطين الذي يُجعل بين اللبنتين، المسك الأذفر: أي الشديد الرائحة.

وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ﴾[1].

ففي الجنة أنهار جارية يجريها الله ﷻ تحت الغرف والقصور والبساتين وبدون مجرى وبدون شطآن، وهي أربعة أنواع من الأنهار :

---

(١) سورة محمد آية: ١٥.

١ـ أنهار الماء، والماء في هذه الأنهار له طبيعة خاصة مختلفة عن حاله في الدنيا فهو لا يتغير طعمه ولا رائحته فهو دائمًا عذب فرات وإذا أخذ منه شيء وطال تخزينه فإنه يظل على حاله.

٢ـ أنهار اللبن: واللبن أيضًا لا يتغير طعمه أبدًا ولا يفسد بتغير الأحوال أو طول المدة.

٣ـ أنهار الخمر: والخمر محرمة في الدنيا بسبب أضرارها أما خمر الآخرة فليس فيها أضرار أو آفات وإنما تتحقق بها اللذة والمتعة.

٤ـ أنهار العسل: وهو عسل مصفى تام الصفاء والنقاء بعكس عسل الدنيا الذي يجب تصفيته وتنقيته قبل شربه.

ومن أنهار الجنة الكوثر الذي أعطاه الله لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ۝١﴾[1] وقد رآه الرسول ﷺ وحدثنا عنه ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «**بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فإذا طيبه- أو طينه- مسك أذفر**».

وفي الجنة عيون كثيرة مختلفة الطعوم والمشارب كعين الكافور وعين التسنيم ويبني الله لأهل الجنة في الجنة مساكن طيبة حسنة كما قال تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖ﴾[2].

---

(١) سورة الكوثر آية: ١.

(٢) سورة التوبة آية: ٧٢.

وقد سمى الله في بعض الآيات هذه المساكن بالغرفات قال تعالى: ﴿ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[1] ووصف الله هذه الغرفات فقال: ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ ﴾[2] فهي قصور شاهقة في الجنة طباق فوق طباق مبنيات محكمات عاليات ووصف الرسول هذه القصور ففي الحديث الذي رواه الترمذي عن علي أن رسول الله ﷺ قال: «**إن في الجنة غرفًا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام**».

وفي الجنة خيام عجيبة قال تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾[3] فهي خيام من لؤلؤ بل هي من لؤلؤة واحدة مجوفة روى مسلم عن النبي ﷺ قال: «**إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلًا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا**».

---

(١) سورة سبأ آية: ٣٧.

(٢) سورة الزمر آية: ٢٠.

(٣) سورة الرحمن آية: ٧٢.

وأشجار الجنة كثيرة طيبة متنوعة قال تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخۡلٌ وَرُمَّانٌ ۝٦٨﴾[1]
وقال: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ۝٢٧ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ۝٢٨ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ۝٢٩ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ۝٣٠ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ۝٣١ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ۝٣٢﴾[2].

والسدر هو شجر النبق ذو الشوك ولكنه في الجنة مخضود شوكه أي منزوع والطلح شجر من أشجار الحجاز فيه شوك لكنه في الجنة منضود معد للتناول بلا مشقة.

والذي ذكره القرآن من أشجار الجنات شيء قليل مما تحويه تلك الجنات قال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠﴾[3] وقال: ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُ﴾[4].

وأشجار الجنة دائمة العطاء لا تنقطع فلا تكون في فصل دون فصل قال تعالى: ﴿۞ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَا﴾[5] وقال: ﴿وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ۝٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ۝٣٣﴾[6].

---

(١) الرحمن: ٦٨.

(٢) سورة الواقعة آية: ٢٧-٣٢.

(٣) الواقعة: ٢٠.

(٤) سورة الزخرف آية: ٧١.

(٥) سورة الرعد آية: ٣٥.

(٦) سورة الواقعة آية: ٣٢.

فثمرة الجنة لا مقطوعة بالأزمان ولا ممنوعة بالأثمان فليس فيها فاكهة صيف أو شتاء وليست بعيدة المنال عن مشتهيها فالكل متوافر وتحت الطلب.

وقد تكون الأسماء معروفة لنا في الدنيا لكن الحقائق لا تُتصور.

قال الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[1].

وللعلماء في فهم قوله تعالى: ﴿ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗا ﴾ قولان:

١ـ عندما يأتيهم الرزق يقول أهل الجنة هذا الذي رزقنا به في الدنيا.

٢ـ أو يقولون هذا الذي رزقنا به في المرات السابقة في الجنة.

فيقال لهم في الحالين اللون متشابه والطعم مختلف ولهذا ورد في بعض الآثار؛ ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء.

فالرمان والأعناب والفواكه والماء والخمر والعسل واللبن... إلخ لا تشترك مع ما في الدنيا إلا في الاسم فقط. وأما ثمار تلك الأشجار فإنها قريبة مذللة ينالها أهل الجنة بسهولة ﴿ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴿٥٤﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ﴿١٤﴾ ﴾[3]؛ أما ظلها فكما قال تعالى: ﴿ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴿٣٠﴾ ﴾[4] وفي صحيح

---

(١) سورة البقرة آية: ٢٥.

(٢) سورة الرحمن آية: ٥٤.

(٣) سورة الإنسان آية: ١٤.

(٤) سورة الواقعة آية: ٣٠.

البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة واقرءوا إن شئتم؛ ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾**».

وفي الجنة من الطيور والدواب ما لا يعلمه إلا الله تعالى قال تعال: [ولحم طير مما يشتهون] وفي سنن الترمذي عن أنس قال: سُئل رسول الله ﷺ ما الكوثر؟ قال: «**ذاك نهر أعطانيه الله- يعني في الجنة- أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل فيه طير أعناقها كأعناق الجزر (الجمال)** «قال عمر: إن هذه لناعمة قال رسول الله ﷺ: «**أَكَلَتُها أنعم منها**».

ومن نعيم الجنة الولدان قال تعالى: ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ۝١٩﴾[1].

فالطواف للخدمة وهؤلاء الولدان حالهم واحدة لا يكبرون ولا يشيبون وهم في انتشارهم لقضاء حوائج أهل الجنة وكثرتهم وجمال وجوههم وحسن مناظرهم كاللؤلؤ المنثور.

ومن نعيم الجنة الحور وهن نساء في غاية البهاء والجمال قال تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ۝٤٨ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ۝٤٩﴾[2].

ومعنى «قاصرات الطرف» أي لا ينظرن إلى غير أزواجهن أو يقصرن أبصار أزواجهن عليهن فيظل الأزواج ينظرون إليهن لشدة جمالهن.

ومعنى «عِين» أي واسعة العيون حسناء.

---

(١) سورة الإنسان آية: ١٩.

(٢) سورة الصافات آية: ٤٨-٤٩.

ومعنى «بيض مكنون» قيل: هو اللؤلؤ المحفوظ الذي لم تمسه الأيدي، ويقول تعالى عنهن في موضع آخر: ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾(١).

ومعنى ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ ﴾ أنهن أبكار لم يجامعهن أحد قبل أزواجهن، وللجن جنيات وللإنس إنسيات وقوله ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾ «أي في الصفاء والبياض، وفي بعض الآثار: «إن المرآة من نساء أهل الجنة لَيُرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة».

ومن نعيم أهل الجنة اللباس فيقول الله عن لباسهم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ (٣)

وقال ﷺ: «**تبلغ الحلة من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**».

وأسِرَّتهم (جمع سرير) وفرشهم قال عنها تعالى: ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ (٤)

---

(١) سورة الرحمن آية: ٥٦-٥٨.

(٢) سورة الحج آية: ٢٣.

(٣) سورة الكهف آية: ٣١.

(٤) سورة الواقعة آية:١٥- ١٦.

الموضونة: المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت.

وكذلك قال تعالى: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾[1] قال ابن مسعود: بطائنها من إستبرق فكيف بظواهرها.

إستبرق أي حرير غليظ.

وما أخفاه الله عنا من نعيم الجنة شيء عظيم لا تدركه العقول ولا تصل إلى حقيقته الأفكار قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[2] وقد جاء في الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقرءوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾**».

رؤية المؤمنين لربهم ﷻ في الآخرة:

والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[3] وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعَلِمَه.

والأدلة من الكتاب على عقيدة الرؤية كثيرة صريحة منها:

---

(١) سورة الرحمن آية: ٥٤.

(٢) سورة السجدة آية: ١٧.

(٣) سورة القيامة آية: ٢٢.

قوله ﷻ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ ﴾ [1] ووجه الدلالة أن النظر بمعنى الرؤية و(إلى) حرف جر وأن النظر مرتبط بالوجوه فنضرة الوجوه إنما هي بسبب الرؤية للرب سبحانه وتعالى.

ومنها قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [2] والحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر إلى وجه الله ﷻ كما فسرها سلف الأمة.

ومنها قوله ﷻ في حق الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝﴾ [3] فإذا حجب المؤمنون كذلك عن ربهم فأي فضل لهم على الكفار؟! وقال الإمام الشافعي: لما حجب قومًا بالسخط دلّ على أن قومًا يرونه بالرضا، وكذلك دلت الأحاديث الصحيحة على ما تضمنته هذه الآيات:

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن أناسًا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟**» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا. قال: «**فإنكم ترونه كذلك..**» وفي صحيح مسلم عن صهيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله ﷻ: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض**

(١) سورة القيامة آية: ٢٢.

(٢) سورة يونس آية: ٢٦.

(٣) سورة المطففين آية: ١٥.

وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم» ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾[1].

والمخالف في الرؤية كالمعتزلة ومن تبعهم قولهم باطل مردود بالكتاب والسنة.

النار:

النار في اللغة: جسم لطيف محرق

وفي الشرع: دار العقاب التي أعدها الله تعالى لمن مات عاصيًا، قال الله تعالى: ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾[2].

واختلف العلماء في موقع النار الآن فقال بعضهم: هي في الأرض السفلى وقال آخرون هي في السماء، وقال آخرون بالتوقف في ذلك وهو الصواب لعدم ورود نص صريح صحيح في ذلك.

والنار مختلفة في شدة حرها وما أعده الله من العذاب لأهلها وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[3] والعرب تطلق «الدرك» على كل ما تسافل كما تطلق: «الدرج» على كل ما تعالى فيقال: للجنة درجات وللنار دركات وكلما ذهبت النار سفلًا كلما علا حرها واشتد لهيبها والمنافقون الذي يظهرون الإيمان ويخفون الكفر في صدورهم لخطرهم على الدين يكونون في الدرك الأسفل

(١) سورة يونس آية: ٢٦.

(٢) سورة الشورى آية: ٧.

(٣) سورة النساء آية: ١٤٥.

من النار، وأبواب النار كما أخبر الله تعالى سبعة أبواب قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾(١)، أي قد كتب لكل باب منها جزء من أتباع الشيطان يدخلونه، وكل يدخل من باب بحسب عمله ويستقر في درك بحسب عمله.

وعندما يجيء الكفار إلى النار تفتح أبوابها ثم يدخلونها خالدين، وهذه الأبواب تُغلق على المجرمين فلا مطمع لهم في الخروج منها بعد ذلك كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾ ﴾(٢). مؤصدة أي مغلقة الأبواب.

ووقود النار هو الأحجار والكفار قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾(٣) وقال: ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾(٤).

والمراد بالناس الذين توقد النار بهم الكفار المشركون، وأما نوع الحجارة التي تكون وقودًا للنار فالله أعلم بحقيقتها. وهي نار شديدة الحرارة قال تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ ﴾(٥).

---

(١) سورة الحجر آية: ٤٣ - ٤٤.

(٢) سورة البلد آية: ١٩.

(٣) سورة التحريم آية: ٦.

(٤) سورة البقرة آية: ٢٤.

(٥) سورة القارعة آية: ١٠.

وقال تعالى: ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ [1] أي حارٍّ قد بلغ النهاية في الحرارة، وفي الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**نار بني آدم التي توقدون جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم فقالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية فقال: إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا**» وهي نار شديدة السواد فعنة أبي هريرة أن الرسول قال«**أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة**» وبعيدة العمق، قال رسول الله ﷺ: «**لو أن حجرًا قذف به في جهنم لهوى سبعين خريفًا قبل أن يبلغ قعرها**»؛ سبعين خريفًا أي سبعين عامًا.

وبالنسبة لشدة عذابها قال ﷺ: «**أدنى أهل النار عذابًا ينتعل بنعل من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه**» وعن شررها عن ابن مسعود قال في قوله تعالى عن جهنم: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴾ «أمَا إنه ليس مثل الشجر والجبل ولكن مثل المدائن والحصون».

ويعظم خلق أهل النار قال ﷺ: «**يعظم أهل النار في النار حتى إن بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام وإن غلظ جلد سبعون ذراعًا وإن ضرسه مثل أُحُدٍ**».

شحمة الأذن: ما لان من أسفلها وهو مكان الحَلَق.

عاتقه: العاتق: ما بين الكتف والعنق. وأحد: اسم جبل.

---

(١) سورة الرحمن آية: ٤٤.

وعن وسائل العذاب قال تعالى: ﴿ هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ ﴾[1] والمقامع جمع مِقمعة والمقمعة: السوط أي يضربون بسياط من حديد. وفي الحديث: «لو أن مقمعًا من حديد من مقامع أهل النار وضع في الأرض فاجتمع له الثقلان (الإنس والجن) ما أقلُّوه (ما حملوه) من الأرض».

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال في أهل النار: «**إن الحميم ليصب على رأس أحدهم فينفذ من الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه فيسلب ما في جوفه ثم يمرق من قدميه**». يمرق: يخرج وينفذ.

وعن أغلالها قال تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[2] يسجرون: يحرقون.

وقال: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ ﴾[3] وقد روي عن كثير من السلف: أن هذه السلسلة تدخل في فم الكافر وتخرج من دبره فينظم فيها كما تنظم الخرزة في السلك.

---

(١) سورة الحج آية: ١٩-٢١.

(٢) سورة غافر آية: ٧٠-٧٢.

(٣) سورة الحاقة آية: ٣٠-٣٢.

ولا يُستغرب أبدًا وجود حيات ناهشة وعقارب لادغة يعذب بها أهل النار لتكون عذابًا فوق العذاب كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾[1].

وقد فُسر زيادة العذاب بأنها عقارب تلسعهم وحيات تنهشهم، عقارب كالبغال وحيات كالجمال. كما ورد في بعض الأحاديث.

وأهل النار أحياء فيها لا يموتون إذ لو ماتوا لاستراحوا من العذاب ولكنهم لا يموتون كم قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾[2] ويتمنون الموت فلا يجدونه ويسألونه فلا يستجاب لهم: ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾[3]؛ ولذلك فهم يأكلون ويشربون كذا يلبسون ويفرشون.

وطعامهم الزقوم وهو ثمر يخرج من شجرة تنبت في أصل الجحيم مذاقه شديد المرارة يغص في الحلق فلا يبلع إلا بالماء الحميم ومن صفاته أنه يغلي في البطن غليان الماء، قال تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾[4] وقال

---

(١) سورة النحل آية: ٨٨.

(٢) سورة النساء آية: ٥٦.

(٣) سورة الأعلى آية: ١٢-١٣.

(٤) سورة الصافات آية: ٦٢-٦٥.

تعالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾[1].

ومن طعامهم الغسلين وهو ما تجمع من عصارة أهل النار من قيح وصديد وعرق وما يخرج من فروج الزناة، وكذلك من طعامهم الضريع وهو نبات مُرٌّ نَتِن به شوك ينشب في الحلق لا يسد الجوع.

وأما شرابهم فهو الحميم وهو ماء حار يجري من عين آنية أي أن درجة حرارة الماء قد انتهت إلى ما لا مزيد عليه أبدًا يصهر ما في بطونهم ويقطع أمعاءهم، قال تعالى: ﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾[2]. ومع ذلك يشربون منه شرب الإبل العطاش.

قال تعالى: ﴿ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ ﴾[3] والهِيم: الإبل العطاش التي لا تروى وكذلك يشربون ماء الصديد وغير ذلك.

ولباسهم ثياب من نار قال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾[4]. وسرابيل من قطران قال تعالى: ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ ﴾[5]

(١) سورة الدخان آية: ٤٣-٤٦.
(٢) سورة محمد آية: ١٥.
(٣) سورة الواقعة آية: ٥٤-٥٥.
(٤) سورة الحج آية: ١٩.
(٥) سورة إبراهيم آية: ٥٠.

والقطران- كما قال ابن عباس- النحاس المذاب، وقيل: اختير لهم القطران لأنه خبيث الرائحة شديد الاشتعال.

وعن فراشهم وغطائهم حكى القرآن أن لهم فراشًا يسميه مهادًا على سبيل السخرية وغطاءً يسميه «غواشٍ».

قال تعالى: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ [1] فالمهاد هو الفراش والغواش هي اللحف والأغطية.

ويتعاقب على أهل النار من العذاب ما لا يخطر على عقل بشر من المقامع والسلاسل ولفح النيران للوجوه والحجارة الموقدة وكي الجُنُوب والظهور والجباه والقذف بهم في النار إلى غير ذلك جزاء لكفرهم وتكذيبهم.

* * *

(١) سورة الأعراف آية: ٤١.